مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد الأربعون جمادى الآخرة - شعبان ١٤٣٥هـ ، إبريل - يونية ٢٠١٤ م

٤٠

- آل البيت: مكانتهم ومنزلتهم ودورهم في رعاية النبي ﷺ ونصرته والجهاد معه
- المدرسة المدنية في القراءات القرآنية ، خصائصها - أعلامها - أثرها
- علم السيرة النبوية ومؤرخوها في المدينة المنورة في القرنين الأول والثاني الهجريين
- مرويات دعاء النبي ﷺ في مسجد الأحزاب ، جمع ودراسة
- جهود الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود في إتمام مشروع التوسعة السعودية الأولى للمسجد النبوي الشريف

المدرسة المدنية في القراءات
خصائصها - أعلامها - آثارها

د . أحمد الزعبي

أستاذ مشارك في قسم القراءات القرآنية

جامعة طيبة

مقدمـــــة : الحمدُ للّه ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، وحبيب رب العالمين سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم ، وبعد :

فإنَّ المدينة المنورة تبوأت منزلةً عالية في تاريخ الأمة الإسلامية ، فقد جعلها اللّه مهاجر النبي ﷺ وعاصمة دولته ، ومستقر الإيمان فيها ، وفيها سكنت روحه فصار فيها مدفنه .

وهي مركز الدولة لانطلاق الدعوة إلى اللّه تعالى ودعوة الناس جميعاً إلى الدين الحق ، فكان مسجدها المدرسة الأولى ، التي علّم فيها النبي ﷺ بين جنباته القرآن العظيم والسنة الكريمة ، فجلس الصحابة فيه حلقاتٍ يتدارسون كتاب اللّه تلاوة وفهماً وتدبراً ، فكان الرسول ﷺ أولَ معلِّم فيه .

واستمر موكب التعليم القرآني عبر القرون تتناقله الأمة بعنايةٍ وضبطٍ وإتقان من غير زيادة ولا نقصان محققين وعد اللّه تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، فصارت المدينة المنورة وجهة العلم وطلابه ، يتوافدون عليها من أرجاء المعمورة ، لينهلوا من نبعها الصافي .

وكان نزول القرآن الكريم في المدينة المنورة بأحرفه السبعة تيسيراً وتخفيفاً على الأمة ، فقد روى البخاري عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند أضاة[1] بني غفار فأتاه جبريل عليه السلام فقال : « إن اللّه يأمرك أن تقرأ أمتك

(١) الأضاة : هي الماء المستنقع كالغدير ، وهي موضع بالمدينة النبوية ، وينسب إلى بني غفار ؛ لأنهم نزلوا عنده ، فتح الباري ٣٦/٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القرآن على حرفٍ ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم أتاه الثانية ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الثالثة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف ، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ،وإن أمتي لا تطيق ذلك ، ثم جاءه الرابعة ، فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرفٍ فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا »[(١)] .

وبذلك غدت القراءاتُ القرآنية عاضداً قويّاً لبعض لهجات العرب المنتشرة في الجزيرة العربية وما جاورها من قبائل ، وكان للمدينة المنورة السبق في العناية بهذه الأحرف السبعة ، بدءاً من الإذن بتلاوتها ، ومروراً بجمع القرآن في العهدين الراشدين ؛ أبي بكر وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، اللذين أسسا قواعد المدرسة فيها .

ولعل بحثي : « **المدرسة المدنية في القراءات القرآنية : خصائصها – أعلامها – أثرها** » ، يكون نافذةً في كشف مزايا وخصائص هذه المدرسة التي اعتنت بكتاب الله ﷻ ؛ فعمّ نفعها أنحاء العالم الإسلامي ، وعُرف اليوم مصحفها في أرجاء المعمورة بمصحف المدينة النبوية ، وجاءت خطة البحث على الآتي :

مقدمة ، وأربعة مباحث ، وخاتمة .

المبحث الأول : المدرسة المدنية في القراءات ومراحل نشأتها ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف المدرسة المدنية وبيان نشأتها .

المطلب الثاني : المدرسة المدنية في العهد النبوي .

المطلب الثالث : المدرسة المدنية في عصر الخلفاء الراشدين .

المطلب الرابع : المدرسة المدنية في عصر التدوين .

المطلب الخامس : المدرسة المدنية في العصر الحديث .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٦/٩ ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم ٥٠٧٤ ، واللفظ لمسلم ، باب أن القرآن أنزل على سبعة أحرف ، رقم (٨٢١) ٥٦٢/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني : خصائص المدرسة المدنية ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : التمسك بالرواية والدراية .

المطلب الثاني : التمسك بالرسم العثماني .

المطلب الثالث : اعتماد المدرسة المدنية على المنهجية العلمية .

المبحث الثالث : مشاهير أعلام القراءات في المدرسة المدنية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : من أعلام مدرسة القراءات في عصر الصحابة .

المطلب الثاني : من أعلام مدرسة القراءات في عصر التابعين ومن بعدهم .

المطلب الثالث : من أعلام مدرسة القراءات في العصر الحديث .

المبحث الرابع : أثر المدرسة المدنية في القراءات القرآنية ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : أثر المدرسة في الإقراء والتدريس في المدينة المنورة .

المطلب الثاني : أثر المدرسة في الإقراء والتدريس في العالم الإسلامي .

المطلب الثالث : أثر المدرسة العلمي في التأليف .

خاتمة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الأول

المدرسة المدنية في القراءات ومراحل نشأتها

المطلب الأول

تعريف المدرسة المدنية وبيان نشأتها

أولاً : التعريف بالمدرسة لغةً واصطلاحًا :

أ) المدرسة لغةً :

درس الشيء والرسم ، يدرس دروسًا : عفا . ومنه قول عمر بن عبد العزيز في رسالته إلى أبي بكر بن حزم : « فإني خفتُ دروس العلم وذهاب العلماء »[(١)] .

والدرس : الطريق الخفيّ ، ودرس الكتاب يدرسه ، درساً ودراسة : ذلك بكثرة القراءة حتى خَفَّ حفظه عليه ، أو عانده حتى انقاد لحفظه .

المدراس والمدرس : الموضع الذي يدرس فيه ، والمدرس الكتاب ، والمدارس : الذي قرأ الكتب ودرسها[(٢)] .

ب) المدرسة اصطلاحاً :

« هي المؤسسة العامة التي أنشأها المجتمع لتتولى تربية النشء الجديد على المعارف والحقائق ، والقيم الاجتماعية والدينية ، وطرق العمل والتفكير »[(٣)] .

أما نسبة المدنية فهي من مدينة رسول الله ﷺ ؛ التي هاجر إليها ، وأنشأ فيها مسجده فقال عنه : « صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلاَّ المسجد الحرام »[(٤)] .

---

(١) ينظر : لسان العرب ، جمال الدين بن منظور (٦/٧٩-٨٠) ، (١/٣٩٩) دار صادر ، بيروت، ١٩٦٨م ، والمعجم الوسيط ص ٢٨٩.، مجمع اللغة العربية، ط٤ ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨م .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مقدمة في التربية ، إبراهيم ناصر ، ص١٥٢ ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٤م .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب العلم ١/١٤٩ . ابن حجر العسقلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثانياً : نشأة المدرسة المدنية .

نشأت المدرسة المدنية للقراءات منذ هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وبناء مسجده الشريف ، فقد كان القرآن يتنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل ، ثم يبلغه لأصحابه ، وقد أقبلوا عليه بحبٍ وحماس ، إيماناً منهم بأن تلاوة القرآن ومدارسته من أجلِّ القربات ، تصديقاً لقوله ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلَّمَه »[(١)] ، وقوله : « مَن قرأ حرفاً مِن كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول [آلم] حرف ، ولكن ألِفٌ حرف ، ولامٌ حرف ، وميمٌ حرف »[(٢)] ، وبذلك تحوّل المسجد النبوي إلى أول مدرسة قرآنية في المدينة يُتلى فيها كتاب الله .

المطلب الثاني

المدرسة المدنية في العهد النبوي

نشأت المدرسةُ المدينة للقراءات في المسجد النبوي ، وأصبح للمسجد دويٌ كدوي النحل من تلاوات الصحابة ، واتبع الرسول ﷺ منهجاً علمياً في تعليم الصحابة للقرآن ، فكان الآتي :

أولاً : العرض والسماع :

وهو المنهج الذي يُعرف اليوم في علوم القرآن والقراءات والجامعات التي تُعنى بالدراسات القرآنية بـ (العرض والسماع ، أو عرض وتطبيق) ، فكان يُسمعهم القرآن كما سمعه من جبريل عليه السلام ، وكانوا يقرؤون عليه كما قرأ على جبريل عليه السلام ، فيضبط القراءة الصحيحة ، وهو إرشادٌ للأمة أنَّ القرآن يُؤخذ بالتلقي والسماع والمشافهة .

---

(١) صحيح البخاري ، فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ، ج ٩، ص ٧٤ .

(٢) سنن الترمذي رقم ٢٩١٠ ، أبو عيسى الترمذي ، طبعة مؤسسة الرسالة العالمية ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون . بيروت ١٤٠٨هـ . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وصححه الألباني في الصحيح الجامع ، برقم ٦٤٦٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبوَّب البخاري في صحيحه : باب فضل استماع القرآن ، ثم روى عن عبد الله[١] قال : قال لي رسول الله ﷺ : اقرأ عليَّ القرآن ، قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : إني أُحبُّ أنْ أسمعه من غيري ، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، فقال لي : حسبك ؛ فإذا عيناه تذرفان[٢] .

بل كان الرسول ﷺ يعرض القرآن على بعض الصحابة ﷺ ، وهم القراء المتخصصون ، عن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بن كعب ﷺ : إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، قال : أوَسمَّاني لك ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم ، قال : وذُكرتُ عند رب العالمين ؟ قال : نعم ، فبكى أُبي[٣] .

وفي رواية المسند عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ الْقُرْآنَ عَلَيْكَ » ، قَالَ : وَسَمَّانِي لَكَ رَبِّي ؟ قَالَ : ﴿ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس : ٥٨] هَكَذَا قَرَأَهَا أُبَيٌّ[٤] .

ثانياً : جمع القرآن وتدوينه :

لم تكتف المدرسةُ المدنية في حفظ القرآن بقراءاته عبر وسيلة العرض والسماع ، بل أضافت إلى ذلك وسيلة الكتابة والضبط والتقييد في السطور زيادةً في الحفظ والضبط ؛ فقد ورد أنه إذا نزل عليه جبريل بشيءٍ من القرآن ، دعا كتبة الوحي من أصحابه ليكتبوا القرآن ، وكان يُمليه عليهم ليكتبوه في

---

(١) هو عبدالله بن مسعود ﷺ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ : حسبك (٤٧٦٣) .

(٣) المرجع السابق ، مناقب الأنصار ، مناقب أبي بن كعب ، ج ٧ ، ص ١٢٧ ، وقال أبو عبيد : المراد بالعرض على أُبي ليتعلم منه أُبي القرآن ، ويتثبت فيها وليشرع النبي ﷺ هذا الطريق ويكون عرض القرآن سنة متبعة . وفي ذلك تنبيه على فضيلة أُبَيّ ، وتقدمه في حفظ القرآن الكريم . فتح الباري كتاب مناقب الانصار باب مناقب أُبَيّ بن كعب ١٥١/٧ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل رقم ٢٠٦٥٦ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٢/٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

السطور ، ففي الحديث : « أنَّ زيد بن ثابت قال : كنت جارَ رسول الله ﷺ ، فكان إذا نزل الوحي عليه ، أرسل إليَّ فكتبتُ الوحي »[١] .

فكان كتّاب الوحي يكتبون القرآن الكريم بعد نزوله على قطع متفرقة بين يدي الرسول ﷺ وجبريل عليه السلام حاضر يصحح إذا حدث خطأ ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة : ٤٤-٤٦] ، بمعنى لو خطر في قلبه التحريف لمنعه الله ﷻ من الإكمال ؛ لأن اليمين أداة الكتابة[٢] ، فإذا كان هذا النص القرآني محروساً من وقت نزوله إلى السماء ، فلا يمكن أن يُترك في الأرض من غير حفظ و لا صون .

وقد تميزت كتابة القرآن من قبل كتاب الوحي بخضوعها للمراقبة والمراجعة والتدقيق من النبي ﷺ ، يقول زيد : « كنت أكتب الوحي عند رسول الله ﷺ وهو يُمْلِي عليَّ ، فإذا فرغتُ ، قال : اقرأهُ فأقرأُهُ ، فإن كان فيه سقطٌ أقامه ، ثم أخْرُجُ به إلى الناس »[٣] . وتُراجَع الرقاع بعد ذلك من كتبة الوحي .

قال محمد بن شهاب الزهري : « قُبِضَ النبي ﷺ ولم يكن القرآن جُمع في شيءٍ ، وإنما كان في الكرانيف والعسب »[٤] . وكان القرآن كلُّه كُتِبَ في

(١) كتاب المصاحف ، أبو بكر بن أبي داود عبد الله بن سليمان ص ٣ ،القاهرة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣هـ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله القرطبي ٢٧٦/١٨ .

(٣) الفسوي : المعرفة والتاريخ ٣٧٧/١ ، والطبراني : المعجم الكبير ١٤٢/٥ ، والهيثمي : مجمع الزوائد ٢٥٧/٨ .

(٤) الطبري : جامع البيان ٢٨/١ ، وينظر : ابن حجر ، فتح الباري ١٢/٩ ومعنى الكرانيف جمع كُرْنافة ، وهي أصل السَّعَفة الغليظة . النهاية في غريب الحديث ١٦٨/٤ ، والعسب جمع عسيب ، وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ، ويكتبون في الطرف العريض ، وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص، والذي ينبت عليه الخوص هو السعف . النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٣٤/٣) ، المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) نشر دار ابن الجوزي ، الرياض ، ١٤٢١هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عهد رسول الله ﷺ في الصحف والألواح والعُسُب ، لكن غير مجموع في موضع واحد[١] .

كانت أدوات الكتابة التي استعملها الصحابة في كتابة القرآن أقصى ما يستطيع الإنسان توفيره في تلك الفترة البدائية ، وهي تدل على الجهد والمشقة الذي تحمله الصحابة ، فلم يكن من السهولة توفيرها ، بل تحتاج إلى جهدٍ في الإعداد والتجهيز ، وهي تعطي الأجيال الناشئة ثقةً وطمأنينة في توثيق النص القرآني بأنه من عند الله ﷻ .

ومما سبق ذكره يتضح أن المدرسة المدنية في جمع القرآن بقراءاته في العصر النبوي اعتمدت على الآتي :

١- نقلُ القرآن وجمعه بوسيلتين : النقل اللفظي مشافهة في الصدور ، والنقل الكتابي في السطور .

٢- جمعه وفق خطة علمية منهجية موضوعية من : كتابةٍ ومشافهةٍ ، ومقابلة المكتوب مع المحفوظ .

٣- جُمع بإملاء من الرسول ﷺ وإشرافٍ منه .

ثم كانت عملية الجمع التي بدأت في المدرسة المدنية في عصر رسول الله ﷺ منهجاً علمياً متبعاً في جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين .

ثالثاً : تخريج عدد من الصحابة متخصصين بالإقراء :

بعد سنوات التعليم والإقراء التي سلكها الرسول ﷺ في مسجده ، بدأت النواة الأولى بتخريج عدد من أصحابه عُرفوا بالقرَّاء ، وقد بين الرسول ﷺ تخصصهم بالإقراء ، فقال : « خذوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وأُبَيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة »[٢] .

---

(١) لطائف الإشارات لفنون القراءات للإمام شهاب الدين القسطلاني ٥١/١ ، تحقيق الشيخ عامر السيد عثمان الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) .

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ رقم ٤٩٩٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال الإمام النووي : قال العلماء : « سببُه أنَّ هؤلاء أكثر ضبطاً لألفاظه ، وأتقن لأدائه ، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم ، أو لأنَّ هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذه منه ﷺ مشافهة ، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض ، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم ، أو أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته من تقدم هؤلاء الأربعة وتمكنهم ، وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك فليؤخذ عنهم »[(١)] .

قال الحافظ ابن حجر : « وتخصيص هؤلاء الأربعة بأخذ القرآن عنهم ، إما لأنهم كانوا أكثر ضبطاً له وأتقن لأدائه ، أو لأنهم تفرغوا لأخذه منه مشافهةً ، وتصدروا لأدائه من بعده ، فلذلك ندب إلى الأخذ عنهم ، لا أنهم لم يجمعه غيرهم »[(٢)] .

وقوله ﷺ ذلك تنبيهُ الأمة إلى التخصص ، وأن تعلم القرآن وكيفية القراءة ينبغي أن تؤخذ من المتخصصين الضابطين لحروفه وصفاته ، فالقرآن يؤخذ مشافهةً من أفواه الشيوخ المتخصصين .

ولم يكن قوله ﷺ ذلك من باب الحصر ، بل هناك أيضاً عدد من القراء الذين عُرفوا بالتخصص ، جاءت أسماؤهم بأحاديث أخرى ، مثل زيد بن ثابت ، وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس ، وعثمان بن عفان ، وأبي موسى الأشعري ، ولكن ذكرهم ذلك من باب جمع القرآن حفظاً وكتابة ، أو من تصدَّى لإقراء القرآن أكثر من غيره .

وقد بدأ يهيئ جيلاً من طلابه ليخلفوه في القراءة والتعليم ، وهم سيكونون المدرسين من بعده سواءً كان في حياته أو بعد موته .

رابعاً : توسع المدرسة المدنية من مسجده لتشمل بيوت الصحابة :

يُقصد بذلك توسع المدرسة المدنية للقراءات ، فلم تكن مقتصرةً على المسجد بل اتسعت الحلقات لتشمل البيوت ، فكان الصحابي يتعلم من رسول الله ﷺ

(١) ينظر :شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٢٣٥-٢٣٦ ، القاهرة ، دار الآفاق العربية ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: فتح الباري ٧/١٢٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سورةً أو بعض الآيات ، ثم ينطلق إلى بيته ليعلم أولاده وزوجه ، أو أحداً من أصحابه أو ضيوفه ، وبذلك امتدت المدرسة من المسجد إلى البيوت .

يقول عبادة بن الصامت ﷺ : كان رسول الله ﷺ يُشْغَل ، فإذا قدِم رجلٌ مهاجرٌ على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجلٍ منا يُعلمه القرآن ، فدفع إليَّ رسول الله ﷺ رجلاً ، وكان معي في البيت أُعشّيه عشاءَ أهل البيت ، فكنت أُقرئه القرآن ... »[(١)] .

وعُرفت بيوتٌ في المدينة بدويِّ القرآن فيها كدويِّ النحل ، يقول الرسول ﷺ : « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار »[(٢)] .

وبهذا العمل تحولت بيوت المهاجرين والأنصار إلى مدارس قرآنية تتبع المدرسة الأولى وهي مسجد رسول الله ﷺ .

خامساً : إرسال عدد من القراء إلى القبائل العربية لتعليمهم القرآن :

امتدت خطة الرسول ﷺ في منهج المدرسة المدنية للقراءات خارج المدينة ، فكان يرسل القراء إلى القرى والهجر والقبائل المجاورة من المدينة ليعلموا الناس قراءة القرآن وأمور دينهم ، وقد ورد أنَّ رعلاً وذكوان وعُصيَّة وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو ؛ فأمدهم بسبعين من الأنصار ، كانوا يُسمَّونهم القراء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ؛ فبلغ النبي ﷺ ، فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان[(٣)] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٣١٤٦) ، مسند أحمد بن حنبل الشيباني ، طبعة : دار صادر ، بيروت ، وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده حسن من أجل بشر بن عبد الله السلمي .

(٢) صحيح البخاري رقم ٤٢٣٢ .

(٣) صحيح البخاري « كِتَاب الْمَغَازِي » بَاب غَزْوَةِ الرَّجِيعِ رقم ٣٠٨٠٨ .

سادساً : تعليم قراءة القرآن حسب اللهجة التي درجوا عليها :

كانت القبائل العربية في المدينة وما جاورها لها لهجاتٌ متباينة مختلفة فيما بينها ، وكان الاختلاف في الأصوات وطرق الأداء ... ، ولو ألزمت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشقَّ الأمر عليها ، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف مراعياً بذلك التباين والاختلاف في اللهجات ، وفي حديث جبريل عليه السلام : « إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا »(١) .

ومن حكمة رسول ﷺ عند تعليم القرآن لأصحابه مراعاة هذا الاختلاف والتباين في لهجات بعضهم البعض ، فأقرأ كل واحدٍ حسب لهجته التي نشأ ودرج عليها ، فلم يُشدد عليهم أن يقرؤوا بحرفٍ واحد ، فكان البعض يهمز ، والآخر يخفف ، وبعضهم يكسر الحرف ، وبعضهم يفتحه كلٌ حسب قبيلته التي نشأ ودرج فيها .

وقد أقرأ عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم سورة بقراءتين مختلفتين ، فلما استمعا لبعضهما البعض اختلفا واختصما ، فذهبا إلى رسول الله ﷺ ، فقال عمر : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تَقْرَأْهَا ، وَإِنَّكَ أَقْرَأْتَنِي سُورَةَ الْفُرْقَانِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَا هِشَامُ ؛ اقْرَأْهَا ، فَقَرَأَهَا عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اقْرَأْ يَا عُمَرُ ، فَقَرَأْتُهَا الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ »(٢) .

---

(١) المرجع السابق . باب أنزل القرآن على سبعة أحرف رقم ٥٠٧٤ ، ومسلم في صحيحه . باب أن القرآن أنزل على سبعة أحرف . رقم(٨٢١) ٥٦٢/١ .

(٢) صحيح البخاري رقم (٤٩٩٢)، ومسلم رقم (٨١٨) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومع مرور السنين اتخذت المدرسة المدنية في القراءات القرآنية طابعاً مميزاً في الحفاظ على القرآن الكريم وقراءاته ، فكانت هي المشرفة على جمع وتدوين القرآن وتوزيعه على الأمصار في العالم الإسلامي .

المطلب الثالث

المدرسة المدنية في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

أولاً : مظاهر عناية الصحابة بتعليم ونشر القرآن الكريم :

أقبل أصحاب النبي ﷺ على تعلم القرآن الكريم حفظاً ، وفهماً ، وعملاً ، بصورة يندر لها مثيل ، ومما دفعهم إلى حفظه والإقبال عليه بصورة خاصة ؛ تشجيع النبي ﷺ لهم على ذلك ، ويظهر هذا من خلال :

- الأحاديث الكثيرة التي جاءت عن النبي ﷺ تحثُّ على حفظ القرآن الكريم .
- من خلال سنته العملية التي تشير بصورة واضحة إلى منزلة ومكانة أهل القرآن العالية عند الله فقد كان النبي ﷺ يفاضل بين الصحابة أحياءً وأمواتاً بما معهم من قرآن ، كما فعل بشهداء أحد ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُول : « أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآن » فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ[(١)] .

وقوله ﷺ : « فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ أَحَدُكُمْ ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْثَرُكُمْ قُرْآنًا »[(٢)] ، وبتقدمه لإمامة الصلاة التي هي من أعظم العبادات دلالة على فضله ومكانته .

وقد زوج النبي ﷺ الرجل الذي ليس عنده مهر بما معه من قرآن تشجيعاً لهم على الحفظ ، كما ورد في حديث سهل بن سعد في قصة الرجل الذي أراد أن يتزوج المرأة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب : الصلاة على الشهيد ح رقم ١٢٥٧ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : وقال الليث حدثني يونس عن ابن شهاب . رقم ٣٩٦٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

التي عرضت نفسها للنبي ﷺ ، ولم يكن له بها حاجة ، ولم يكن عند الرجل شيء ليكون معه مهراً لها ، فقال له النبي ﷺ : « مَاذَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ » ؟ قَالَ : مَعِي سُورَةُ كَذَا ، وَسُورَةُ كَذَا ، وَسُورَةُ كَذَا ، عَدَّهَا قَالَ : « أَتَقْرَؤُهُنَّ عَنْ ظَهْرِ قَلْبِكَ » ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « اذْهَبْ فَقَدْ مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ »[(١)] .

قال ابن حجر : « فدلَّ على فضل القراءة عن ظهر قلب ؛ لأنَّها أمكن في التوصُّل إلى التعليم »[(٢)] .

ولذا تنافس الصحابة في حفظه ، وتلاوته ، وفهمه ، تاركين لذيذ النوم ، وهاجرين دفئ الفراش ، وهجيع الليل ، للقيام بتلاوته ، والتدبر لمعانيه التي هي أعظم ما يستمتع به أهل الإيمان في ليلهم ، ولذا كان يسمع لبيوتهم دويّاً كدويّ النحل من تلاوة القرآن ، والقيام به في الليل ، كما قال النبي ﷺ شاهداً على ذلك : « إِنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ؛ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ »[(٣)] ، وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى هذه الأصوات العذبة المنبعثة بين هذه البيوت المباركة وقلبُه منشرح بذلك ، مشجعاً لهم على ما يسمع ويرى ، كما قال لأبي موسى الأشعري ﷺ : « لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » .

ومن هنا فقد حفظ القرآن الكريم عدد كبير من أصحاب النبي ﷺ في حياته ، وبعد مماته ، وكان لهؤلاء السبق في نشر وتعليم القرآن الكريم في المدينة المنورة وما حولها ، وفي المدن والأمصار ، يعلمون الناس التلاوة الصحيحة لكتاب الله ﷻ ، فانتشر كتاب الله فوق أرجاء المعمورة .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب : القراءة عن ظهر قلب ، ح رقم ٤٦٤٢ .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٩٨/٩ .

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب : من فضائل الأشعريين ﷺ ، ح رقم ٤٥٥٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويذكر ابن حزم أن رسول الله ﷺ لم يمت إلا وقد انتشر الإسلام وظهر في جميع جزيرة العرب ، كلهم قد أسلم ، وبنوا المساجد ؛ ليس فيها مدينة ولا قرية ولا حلة لأعراب إلا وقد قرئ فيها القرآن في الصلوات ، وعُلِّمه الصبيان والرجال والنساء[١] .

ثانياً : في عصر أبي بكر الصديق ﷺ :

اتسعت المدرسة المدنية للقراءات في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ، فلم يقتصر عملها على التدريس والتعليم ، وإنما توسع عملها لتشمل أعظم مهمة تُسند إليها وهي جمع القرآن الكريم ، ومن أهم أعمالها :

- إشراف المدرسة المدنية على جمع القرآن الكريم :

توفي الرسول ﷺ والقرآن لم يجمع في مصحف واحدٍ مكتوب ، وإنما كان متفرقاً في الصدور والألواح ونحوها من وسائل الكتابة ، حيث لم تكن ثمة دواع في حياته ﷺ لجمع القرآن في مصحف واحد ، ولما جُمع أمر المسلمين على الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ، ارتدت بعض القبائل العربية عن الإسلام ، فسير أبو بكر جيشاً لقتالهم ، وكان حملة القرآن ممن تخرج من المدرسة المدنية يشكلون قوة في الجيش ، فالتقوا في أرض اليمامة مع المرتدين ، ودارت بينهم معركة قتل فيها عددٌ كبيرٌ من القراء .

فاستشهد في المعركة سبعون قارئاً من خيار الصحابة ، فأفزع ذلك عمر بن الخطاب ﷺ ، فدخل على أبي بكر ﷺ ، وأشار عليه بجمع القرآن ، وتردد خليفة المسلمين في البداية خشية أن يقدم على أمر لم يفعله رسول ﷺ ، ولكن شرح الله ﷻ صدره لذلك فيما بعد .

روى البخاري في صحيحه عن زيد ﷺ أنه قال : أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إنّ عمر أتاني فقال : إنّ القتل قد

(١) الفصل فى الملل والنحل ، ابن حزم ٦٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

استحرَّ - أي اشتد وكثر - يوم اليمامة بالناس ، وإني أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء في المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا إن تجمعوه ، وإني لأرى أن تجمع القرآن ، قال أبو بكر : قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله صدري ، ورأيت الذي رأى عمر .

قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم ، فقال أبو بكر : إنك رجل شابٌ عاقلٌ ولا نتهمك ، كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتَتَبع القرآن فاجمعه ؛ فو الله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي ﷺ ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر ، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع[(١)] والأكتاف[(٢)] والعُسب وصدور الرجال...وكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر[(٣)] .

عين أبو بكر زيدَ بن ثابت ﷺ ليقوم بهذه المهمة ، وقد وضعت اللجنة شروطاً لقبول السور من الصحابة وهي[(٤)] :

١- حفظ القرآن من قبل اللجنة المشرفة على الجمع وبخاصة زيد بن ثابت .

٢- مطابقته للمكتوب الذي كتب بين يدي الرسول ﷺ حيث كتب القرآن في عهد النبي ﷺ ، وكان مفرّق الآيات والسور بين الصحابة .

---

(١) الرقاع جمع رُقْعة ، وهي التي يكتب فيها ، وتكون من جلد أو كاغد . لسان العرب مادة (رقع) (١٧٠٥/٣) .

(٢) الأكتاف جمع كَتِف ، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان من الناس والدوابِّ ، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم . النهاية في غريب الحديث (١٥٠/٤) .

(٣) ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم ٤٩٨٦ ، ١٠/٩ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ، ٥٨/١ ، القاهرة ، مطبعة البابي الحلبي ، ط ثالثة ، ١٩٥١م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣- حفظ الشخص الذي يأتي بالسورة .

٤- شهود اثنين أن السورة التي يأتي بها الصحابي كُتبت بين يدي الرسول ﷺ .

قال زيد : فتتبعت القرآن أجمعه حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحدٍ غيره ، وهي قوله : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة : ١٢٨](١) .

ويعني زيدٌ أنه لم يجدها مكتوبةً إلا مع أبي خزيمة ﷺ ، على الرغم من أن كثيراً من الصحابة كانوا يحفظونها ، ولكنه أراد أن يجمع إلى الحفظ الكتابة ، وشهادة أبي خزيمة تعدل اثنين كما شهد له الرسول ﷺ ، وكونها متواترة محفوظة في قلوب الصحابة قامت مقام الشاهدين اللذين اشترطهما في عمله .

وهذه الشروط تمثل أعلى درجات الضبط في قبول الخبر في ذلك العصر ، فجُمِع القرآن كاملاً من الرقاع ، والأكتاف ، والعسب ، فصار مصحفاً واحداً مرتب الآيات ، على درجة عالية من الضبط والإتقان .

ثالثاً : المدرسة المدنية في القراءات القرآنية في عهد عمر بن الخطاب ﷺ :

كان عمل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مُكمِّلاً لعمل أبي بكر الصديق ﷺ ، فعندما فتحت البلاد والأمصار في عهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وسّع عمر عمل المدرسة المدنية في نشر القراءات القرآنية ، فعندما كثر عدد صبيان المسلمين في المدينة ، ولا يجدون من يعلمهم أمر باتخاذ كتاتيب في كل حي من أحياء المدينة ، يغدو إليه الصبيان يتعلمون فيه كتاب الله ، وجعل للمعلم المتفرِّغ أجراً على عمله(٢) .

---

(١) قال ابن حجر : وكان غرض زيد التثبت عمن تلقاها بغير واسطة ، وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار . فتح الباري ٥/٩ .

(٢) الفصل فى الملل والنحل ، ابن حزم ٦٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وجمع عمر بن الخطاب المسلمين في قيام رمضان على قارئ واحدٍ ، فقدّم للإمامة بهم أُبيَّ بن كعب ، فكان يصلي بهم عشرين ركعة يوتر بثلاث[١] ، حيث كانوا يصلون التراويح فيما سبق خلف أئمة متعددين وجماعات متفرقة .

ووسع المدرسة المدنية خارج المدينة فأرسل القراء من المدينة إلى الأمصار لينشروا قراءة القرآن بأحرفه السبعة التي بها أنزل ، واختار لذلك القرّاء الضابطين للقرآن ممن كانوا مدرسين في مسجد رسول الله ﷺ أو ممن أخذ منه ﷺ ، أو ممن أخذ عن الصحابة عن الرسول ﷺ ، وكان لهؤلاء القراء أكبر الأثر في نشر القراءات القرآنية ، في الأمصار والأقطار الإسلامية ، وهي :

أ - مكة :

وقد تأثرت مكة بقراءة الأئمة منهم : أبي بن كعب ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس[٢] ، ومولاه عبد الله بن السائب وأبو هريرة ، وأخذ عنهم ابن كثير ، وحميد الأعرج ، وعطاء بن أبي رباح ، وطاووس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن أبي مليكة .

ب - المدينة :

وقد تأثرت المدينة بقراءة الأئمة منهم : عبد الله بن عباس ، وأبو هريرة ، وعمر بن الخطاب ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وأخذ عنهم من التابعين أبو جعفر القارئ المشهور ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وشيبة بن نصاح ، ومسلم بن جندب ، ويزيد بن رومان ، وعن هؤلاء التابعين وغيرهم أخذ عنهم القراءة نافع المدني صاحب القراءة المشهورة[٣] .

---

(١) سنن أبي داود ، باب القنوت في الوتر رقم ١٤٢٤ ، مصنف عبد الرزاق رقم ٧٨٣٠ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١/١٢٠ .

(٣) المرجع السابق ١/١١٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ج - بلاد الشام :

بعث عمر بن الخطاب ﷺ أبا الدرداء الخزرجي إلى الشام ، وقد استقر بدمشق ، قاضياً ومعلماً للقرآن ، قال سويد بن عبد العزيز : كان أبو الدرداء إذا صلَّى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفاً ، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك .

قال مسلم بن مشكم - وكان كاتباً لأبي الدرداء - : قال لي أبو الدرداء : اعدد من يقرأ عندي القرآن ، فعددتهم ألفاً وست مئة ونيفاً ، وكان لكل عشرة منهم مقرئ ، وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائماً ، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء ﷺ ، وكان إذا صلى الصبح انفتل ، وقرأ جزءاً فيحدقون به ، يسمعون ألفاظه ، وقرأ عليه خلق كثير من أشهرهم عبد الله بن عامر صاحب القراءة المتواترة[١] .

وقرأ عبد الله بن عامر على أبي هاشم المغيرة المخزومي ، وعلى أبي الدرداء ، وقرأ المغيرة على عثمان بن عفان ، وقرأ عثمان وأبو الدرداء على الرسول ﷺ[٢] .

د - الكوفة :

كان عبد الله بن مسعود ﷺ مؤسس مدرسة الكوفة في القرآن ، والحديث ، والفقه ، فقد تلقى القرآن من رسول الله ﷺ ،وكان من الصحابة الأوائل العارفين بالقرآن ، وهو أحد الأربعة الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل »[٣] .

---

(١) ينظر معرفة القراء الكبار ، الذهبي ٢١/١ ، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ .

(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١٤٤/١ .

(٣) صحيح البخاري . كتاب فضائل القرآن ٤٦١٥ ، صحيح مسلم . فضائل القرآن ١٤٨/٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد أخذ عنه خلق كثيرون في الكوفة مثل علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وعمرو بن شرحبيل ، والربيع بن خثيم ، وعمرو بن ميمون ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وزر بن حبيش ، وسعيد بن جبير ، والنخعي ، والشعبي[١] ، وغيرهم .

هـ - البصرة :

استقر عدد كبير من قراء المدرسة المدنية من صحابة رسول الله في البصرة يعلمون الناس القرآن ، فكان من أشهرهم أبو موسى الأشعري ﷺ ، وهو أحد القراء الذين أخذوا عن الرسول ﷺ في المدرسة المدنية ، فلما استقر في البصرة أقرأ الناس فيها وأخذ عنه القراءة خلق كثير .

رابعاً : المدرسة المدنية في عهد عثمان ﷺ .

اتسعت الفتوحات الإسلامية ، وانتشر صحابة رسول الله ﷺ في البلدان يُقرئون أهل الأمصار القراءة التي أخذوها عن رسول الله ﷺ ، فكان أهل العراق يقرؤون بقراءة عبد الله بن مسعود ﷺ ، وأهل الشام يقرؤون بقراءة أبي الدرداء ﷺ .

وفي غزوة « أرمينية » و « أذربيجان » اجتمعت جيوش الشام والعراق ، وسمع بعضهم قراءة بعض ، فرأوا اختلافاً في وجوه القراءة ، فتعصب كل فريق لقراءته ، وخطّأ قراءة الآخر[٢] ، فاختلفوا حتى كفّر بعضهم بعضاً ، فرأى حذيفة هذا الأمر ؛ لأنه كان يغزو معهم ، فأفزعه ذلك ، فحضر إلى المدينة ، وقال لعثمان : « أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى » ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ﷺ .

---

(١) معرفة القراء الكبار للإمام الذهبي ٣٢/١ ، تحقيق بشار عواد ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٤هـ .

(٢) مثل ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ قرأها البعض ﴿ وأتموا الحج والعمرة للبيت ﴾ . وهي قراءة شاذة قرئت قبل العرضة الأخيرة . انظر : فتح الباري ٦٣٤/٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أراد عثمان أن يجمع القرآن ويدونه برسمٍ يحتمل الأحرف السبعة التي بها نزل ، فرجع إلى المدرسة المدنية في القراءات باعتبارها الحاضنة لكتاب الله ﷻ ، فمنها تخرج الحفاظ الذين أخذوا القرآن مشافهة عن الرسول ﷺ وانتشروا في العالم الإسلامي .

كوَّن عثمان ﷺ من المدرسة المدنية لجنة علمية لعملية الجمع ، وهي انطلاقه من صحائف جمع أبي بكر الموجودة عند حفصة ليجعلها الأصل الأساس لعمله ، وقرر تعيين زيد بن ثابت من الأنصار مقرراً للجنة المكلفة بكتابة المصحف نظراً للدور الذي قام به في جمع القرآن في عهد أبي بكر ، واختار ثلاثة من فصحاء قريش للقيام بعملية الكتابة ، وهم عبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

ولم يشارك كبار قراء الصحابة في عملية الكتابة ؛ لأن المجموعة لم يتم اختيارها على مقاييس الإمامة في القرآن ، ولكن انتقيت لمهارتها في الكتابة وتمكنها من لسان قريش[(١)] ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ، ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كلِّ أفقٍ بمصحفٍ مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفةٍ أو مصحف أن يحرَّق[(٢)] . وتمت كتابة المصحف على لغة قريش لأنه نزل بلسانهم ، و هي أفصح اللهجات ، فجميع لهجات القبائل العربية دون اللهجة القرشية في المستوى الأدبي .

---

(١) تاريخ القراءات في المشرق المغرب ، د. محمد المختار ولد أباه ، ص ١٠ .

(٢) البخاري ٩٩/٦ ، البرهان في علوم القرآن للزركشي ، ١٣٩/١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط ثانية ١٩٧٢م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كان الخليفة عثمان ﷺ المشرف على الجمع ، فتم نسخ المصاحف من صحف أبي بكر ﷺ ، وامتاز هذا الجمع بما يلي[١] :

١- كتابة القرآن الكريم بلغة قريش لأنه نزل بلسانهم .

٢- تجريد المصاحف العثمانية من كل ما ليس قرآناً ، كالشروح والتفاسير التي كتبها بعض الصحابة على صحفهم .

٣- تجريد المصاحف من النقط والشكل والإعجام ، وذلك ليفسح المجال لقراءة القرآن بأي حرفٍ من الحروف السبعة .

٤- الحرف القرآني الذي يقرأ بأكثر من قراءة متواترة « وتعذر رسمه في الخط ليحتمل كل الوجوه القرآنية ، رسم في مصحفٍ برسمٍ وفي الآخر برسمٍ ليدل على القراءة الأخرى »[٢] نحو قوله : ﴿ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] ، فكتب في بعض المصاحف بزيادة (من) والبعض الآخر بحذفها لتحتمل القراءتين[٣] .

وأرسل عثمان بن عفان مع كل مصحفٍ قارئاً من المدينة يعلمهم القراءة الصحيحة التي توافق لهجتهم التي درجوا عليها مع موافقتها للرسم الذي كتب به مصحفهم المرسل إليهم ، فاتفق بذلك قراءة القارئ مع رسم المصحف المرسل معه ، مع لهجة البلد التي حل بها معلماً[٤] .

وقد روي أن عثمان ﷺ أمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمصحف المدني ، وبعث عبد الله بن السائب مع المصحف المكيّ ، وبعث المغيرة بن أبي شهاب مع

---

(١) انظر : مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه د. عدنان زرزور ص ١٢١ . دار القلم . سورية .ط ١ ، ١٤١٦هـ .

(٢) مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، ص/١٢٣ دار القلم . سورية .ط ١ .

(٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن الزرقاني ٢٥٢/١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ٤٠/١ دار الكتاب العربي، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٧٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المصحف الشاميّ ، وأبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفيّ ، وعامر بن عبد قيسٍ مع المصحف البصري[١] .

واختلف العلماء في عدد المصاحف التي بعث بها عثمان إلى البلدان ، فالذي عليه الأكثر أنَّها أربعةٌ ، أرسل منها عثمان ﷺ مصحفاً إلى الشام ، وآخر إلى الكوفة ، وآخر إلى البصرة ، وأبقى الرابع بالمدينة .

وقيل : كتب خمسة مصاحف ، الأربعة المذكورة ، وأرسل الخامس إلى مكة .

خامساً : المدرسة المدنية في القراءات القرآنية في عهد علي بن أبي طالب ﷺ :

بقيت المدرسة المدنية في القراءات في عطائها وازدهارها في نشر القراءات القرآنية داخل المدينة وخارجها ، و في عهد علي بن أبي طالب ﷺ انتقلت العاصمة إلى الكوفة ، فأصبحت عاصمة الدولة الإسلامية ومقر الخلافة الراشدة ، وبانتقال علي ﷺ انتقل معه عدد من الصحابة ممن ساهمت جهودهم في نشر وتعليم القرآن الكريم في الأمصار ؛ فكان من أبرزهم : سعيد بن زيد العدوي وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو مسعود الأنصاري ، وعمار بن ياسر رضي الله عنهم جميعاً ، وتخرج على هؤلاء الصحابة عدد من التابعين ، وهم الأسود بن يزيد النخعي ، وعلقمة بن قيس ، ومن طالت إقامته فيها كان له الأثر الكبير كابن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، وسلمان الفارسي ﷺ، فكان من طلبة عبد الله بن مسعود أكثر من ستين شيخاً كلهم كان له تلاميذ[٢] .

---

(١) دليل الحيران شرح مورد الظمآن في رسم وضبط القرآن ، الخراز ، المطبعة الفنية ، ١٩٨١م .ص ١٨-١٩، مناهل العرفان ٤٠٣/١ .

(٢) قراء الصحابة وجهودهم في نشر وتعليم القرآن الكريم في الأمصار . د . محمد عبد القادر عبد الجليل . ص ١٩٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المطلب الرابع

المدرسة المدنية في عصر التدوين

مع مرور السنين وتغير نمط الناس في الحياة بدأت العلوم الشرعية تأخذ جانب التخصص ، فصار التنافس العلمي الشريف دافعًا بين طلاب تلك المدارس إلى التفوق والإبداع العلمي في مجال علم القراءات ، وقد تم نقل القراءات من الصحابة إلى التابعين عن طريق التلقي والمشافهة ، وكانت المدرسة المدنية في القراءات عمود الرحى الذي انطلق منه قراء العالم الإسلامي يعلمون الناس في البلاد القراءات القرآنية التي أنزل بها القرآن والتي قال عنها الرسول ﷺ : « إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ »[(١)] .

أولاً : القراءات في زمن التابعين :

وتبدأ من نهاية القرن الثاني تقريباً ، وامتازت بالآتي[(٢)] .

١- إقبال جماعة من كل عصر على تلقي القرآن من هؤلاء القراء الذين أرسلوا إليهم من المدينة ، حيث تلقوا عنهم القرآن مع الموافقة للرسم العثماني الذي به كتب ورسم .

٢- تفرغ قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القرآن ، فصاروا أئمة يقتدى بهم ، وأجمع أهل العلم على تلقي قراءاتهم بالقبول ، ونظراً لخبرتهم وضبطهم وإتقانهم في علوم القرآن نسبت القراءة إليهم نسبة اشتهار ، ففي المدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع ، ونافع المدني ، وفي مكة عبد الله ابن كثير ، وفي البصرة أبو عمرو البصري ، ويعقوب الحضرمي ، وفي الكوفة حمزة ، وعلي الكسائي ، وعاصم ، وخلف ، وفي الشام عبد الله بن عامر الشامي .

---

(١) صحيح البخاري ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، رقم ٥٠٧٤ ، ومسلم في صحيحه رقم ٨٢١ .

(٢) معرفة القراء الكبار ١٢٧/١ ، غاية النهاية ٣٤٠/٢ ، والتذكرة في القراءات الثمان ١٧/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتنسب اليوم إليهم القراءات العشر القرآنية المشتملة على ما تحتمله الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، وما زالت الأمة تتناقل قراءات الأئمة العشر جيلاً بعد جيل ، وهي تحافظ عليها ، لأنها أبعاض القرآن ، وهو من الحفظ لكتاب الله ﷻ الذي قال عنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

ثانياً : مرحلة التدوين :

وهي مرحلة تدوين القراءات ، وقد اعتُمد في تدوينها ثلاثة مصادر ، هي :

أ- **النقل والرواية والتلقي والمشافهة : فقد تناقلت الأمة الحروف القرآنية جيلاً بعد** جيل عن طريق التلقي والمشافهة ، وهي الطريقة التي تلقاها النبي ﷺ من جبريل عليه السلام ، وتناقل العلماء القراءات تبعاً لرواية القراءة[(١)] .

ب- **المصاحف المنسوخة من المصاحف العثمانية** : وهي التي عليها اعتمد في تأييد ضبط الرواية ؛ فالكلمة عندما كُتبت رُسِمت مجردة من النقط والشكل ليحتمل رسمها القراءات القرآنية التي بها تقرأ ، وكان الرسم أحد مراجعها ، وقد ظلَّت المصاحف العثمانية تسير جنباً إلى جانب رواية الأئمة للقراءة ، وعدَّ علماء القراءات الرسم ركناً من أركان قبول القراءة ، لتلازم العلاقة بينهما[(٢)] .

ج- **الكتب المؤلفة في القراءات** : احتلت القراءات مكانة كبيرة ، وصارت علماً من علوم الشريعة ، فقام علماء الفن بضبط القراءة المتلقاة عن أكثر من قارئ ، حرصاً على سلامة النص القرآني من أن يطرأ عليه اللحن والتغيير ، من جاهل أو عدو ، وكان أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) أول من ألّف فيه المؤلفات ، وقيل أبو حاتم السجستاني[(٣)] ، بعد ذلك ظهر ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)

---

(١) النشر في القراءات العشر ، محمد بن الجزري ٦/١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

(٢) المرجع السابق ٩/١ .

(٣) النشر في القراءات العشر ٣٣/١-٣٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في كتابه السبعة ، وكان لكتابه أثر كبير في انتشار القراءات السبعة ، بعد ذلك تواكبت التآليف في كتب القراءات ، فألف مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) كتابه التبصرة ، والكشاف ، وألف أبو عمر الداني (ت ٤٤٤هـ) كتابه التيسير في القراءات السبع ، ثم جامع البيان[١] ، ثم ألف الشاطبي متن الشاطبية ....الخ .

وبلغ التأليف ذروته في القرنين الرابع والخامس ، ثم فتر التأليف بعد ذلك حتى القرن التاسع حيث قلّ التصنيف ، ثم نشط التأليف فكانت الكتب والمؤلفات تظهر كل فترة ، وكان علماء فنّ القراءات يحررون العلم ، ويكتبون ويختصرون فيه ، فصارت هذه المؤلفات بمثابة المرجع النظري لتلقي القرآن العظيم ، حيث يقوم الطالب باستيعاب كتاب من كتب القراءات المعتمدة ثم يشافه شيخه ، فيقرأ القرآن بما حواه ذلك الكتاب من قراءات .

وقد حافظت المدرسة المدنية على خصائصها عبر القرون الزمنية حتى العصر الحديث ؛ حيث انتقلت المدرسة المدنية نقلة كبيرة بسبب التقنيات الحديثة التي أسهمت في توسعها .

المطلب الخامس

المدرسة المدنية في العصر الحديث

تُعدُّ المدرسة المدنية في القراءات من أولى المدارس في العالم الإسلامي في العصر الحديث ، فرغم مرور أكثر من ألف وأربعمائة عام على إنشائها وتأسيسها ، فقد ظلت محافظة على تألقها وتقدمها في نشر وتعليم القراءات القرآنية .

ولما كانت وسائل العلم في تطوير وتجديد ؛ فإن المدرسة المدنية واكبت هذا التطوير ، فلم تنكفئ على ذاتها لتعيش في عزلة ، ولم تفقد ثوابتها وهويتها

(١) ينظر : جامع البيان في تفسير القرآن ، للطبري ٤٩٣/٢ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٧٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أمام هذه الطفرة العلمية التي يعيشها العالم ، بل استخرجت من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ، وكان هذا التطوير وسيلة في نشر العلم والمعرفة ، حيث أخذت على نفسها عهداً أن تكون سباقة في نشر كتاب الله فوق المعمورة .

واستطاعت المدرسة المدنية أيضاً أن تنفتح على الثورة العلمية التي تشهدها البلاد ، فعملت على تحويل المدرسة التقليدية إلى مدرسة تواكب تطورات العصر وفق خطة زمنية تم إعدادها ، فانفتحت على العلوم التقنية وثورة المعلومات والاتصالات لتحقق أكبر توسع لها في نشر القرآن الكريم بقراءاته القرآنية وعلومه المتعددة ، فكانت الثورة الصناعية وسيلة في تسهيل ونشر القرآن الكريم في المدينة خاصة وفي أرجاء المعمورة عامة .

وقد زخرت المدرسة المدنية في القراءات منذ تأسيسها في المسجد النبوي الشريف بالحلقات القرآنية ، فهي التي غذّت العالم الإسلامي بالعلماء الذين تخرجوا منها ، فانطلقوا ينشرون القرآن الكريم في البلاد والأمصار ، فأنشأوا المدارس القرآنية في البلاد التي دخلوها ، وكانت تلك المدارس في كل من دمشق وبغداد والبصرة والكوفة والقاهرة والأندلس هي امتداد للمدرسة المدنية الأولى .

وعلى امتداد العصور الإسلامية بقيت المدرسة المدنية في القراءات لها الصدارة الأولى في نشر القراءات القرآنية ؛ لأن المدينة المنورة هي عاصمة الإسلام الأولى ، ولها في قلوب المسلمين القداسة ، لذلك قصدها الكثير لأخذ العلم .

وشهدت المدينة المنورة في هذا العصر نهضة تطورية واسعة في جميع مجالات الحياة ، وكان مجال التعليم له السبق ، ففي ظل الحكم السعودي شهدت المدرسة المدنية في القراءات تطورات متعددة ، فكانت في الجوانب التالية :

أولاً : المسجد النبوي الشريف :

بما أن المسجد النبوي الشريف هو النواة الأولى للمدرسة المدنية في القراءات ، فقد صدر أمر ملكي في ١٥ ربيع الأول ١٣٤٥هـ بتشكيل لجنة للإشراف على

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الدروس العلمية ، فكانت الحلقات القرآنية جانباً من تلك الجوانب العلمية فيه ؛ حيث نظمت الحلقات القرآنية ، وتم اختيار المعلمين من ذوي الكفاءات العالية ، وأقبل الطلاب يتوافدون على الحلقات القرآنية ، فكان للمسجد خصوصية في قلوب الطلاب ، حتى إن أجواءه الروحانية ، ومنزلته الدينية تكسب مجالاً أوسع في الحفظ والتدبر والإقبال على القرآن .

وكانت الحلقات فيه متعددة ومتنوعة ؛ فهناك حلقات للحفظ ، يتم متابعة الطالب بالحفظ اليومي مع المراجعة حتى يتم التثبيت ، وهناك حلقات التجويد ، يتعلم الطالب أحكام التجويد بعناية وضبط ، ويكون فيها التركيز على صفات الحروف ومخارجها ، وهناك حلقات القراءات القرآنية ، حيث يتعلم الطالب قراءة القرآن بقراءاته العشر .

وجميع الحلقات القرآنية في المسجد النبوي تشرف عليها وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي ، فهي تخصص المدرسين المتخصصين ، كما تخصص لها مواقع مناسبة في المسجد ، وتوفر فرق عمل لتنظيمها والإشراف عليها ، ومتابعة طلابها من حيث الحفظ والتمسك بالآداب والأخلاق الإسلامية واتباع آداب المسجد النبوي ، تحت إشراف إدارة التوجيه والإرشاد .

ومن أبرز شيوخ القراء فيه ، الشيخ حسن الشاعر رحمه الله ؛ حيث كانت له حلقة إقراء القراءات ، وحلقة الشيخ علي عبد الرحمن الحذيفي ، وحلقة الشيخ عبد الحكيم خاطر ، والشيخ عبد الله الجار الله مدرس القراءات القرآنية بالحرم النبوي الشريف وغيرهم ...

ثانياً : مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة :

وهي امتداد للمدرسة المدنية الأولى ، ولكن التعليم فيها نظامي ، ففي عام : ١٣٦٧هـ تم افتتاح أول مدرسة ابتدائية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مهاجر رسول الله ﷺ ، وكانت تسمّى « مدرسة القراءات » ، ثم صارت تعرف فيما بعد باسم مدرسة : « أبي بن كعب » .

كما تم في عام ١٣٨٣هـ افتتاح أول مدرسة متوسطة لتحفيظ القرآن الكريم بمدينة الرياض عاصمة البلاد تعرف باسم : « مدرسة تحفيظ القرآن الكريم الأولى » وما زالت هذه المدرسة قائمة حتى الآن ، وبهذا المسمى نفسه وفي عام ١٣٩٦هـ افتتحت أول مدرسة ثانوية لتحفيظ القرآن الكريم بمدينة مكة المكرمة مهبط الوحي ، وتعرف باسم « مدرسة أبي زيد الأنصاري » ، وافتتحت ثانوية الإمام عاصم في المدينة عام ١٣٩٧هـ .

وما زالت هذه المدرسة قائمة حتى الآن وبهذا المسمى نفسه ونتيجة لزيادة الإقبال على الالتحاق بهذه المدارس ، نمت وانتشرت مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف بمراحل التعليم العام في جميع مناطق المملكة[(١)] .

ثالثاً : الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم :

أُنشأت الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالمدينة المنورة في ١٣٨٣/١/٢ ، الموافق ١٩٦٣/٥/٢٥ ، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، وهي جمعية تعنى بحفظ القرآن الكريم ودراسة علومه وقراءاته ، وهي تعمل في تحقيق رؤيتها ، تحت شعار : « في كل بيت من بيوت طيبة الطيبة حافظ وحافظة » ، وكانت رسالتها : تعليم القرآن الكريم وحفظه وتطبيق تعاليمه ، وقد وسعت من حلقاتها في مساجد المدينة المنورة ؛ حيث افتتحت في كل مسجد حلقة أو أكثر لتحفيظ القرآن الكريم ، حتى بلغ عدد الطلاب في حلقات مساجد المدينة المنورة والمناطق التابعة لها ٥٠٠٠٠ طالب وطالبة ، وهي تحظى باهتمام ورعاية من قبل ولاة الأمر في هذه البلاد ورعاية أيضاً من المحسنين في المدينة ، وكان لها جهود مثمرة ؛ حيث يتخرج كل عام ما يزيد على ١٥٠ حافظاً لكتاب الله .

(١) مجلة التوثيق التربوي : ١٤ . نسخة إلكترونية .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولدى الجمعية أنشطة متعددة في نشر القرآن وقراءاته ، وهي[١] :

١- **حلقات حفظ القرآن الكريم** : حلقات السند حيث تهتم بنشر سند القراءة إلى الرسول ﷺ ، فإذا أتقن الطالب ختمة منح إجازة .

٢- **حلقات القراءات القرآنية** : حيث يدرس فيها القراءات العشر القرآنية وفق منهج متطور .

رابعاً : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف :

وهو أيضاً امتداد للمدرسة المدنية في القراءات وخاصة في جانب نسخ المصحف وترتيله بالروايات القرآنية التي يقرأ بها العالم الإسلامي ، وهو متمم للمدرسة المدنية حيث يضاف إلى جانب تعليم وحفظ القرآن ، ضبطه وإتقان رسمه ، وضبط ترتيله وحسن أدائه .

كان إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، مبادرة من الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله ؛ حيث أصدر أمراً ملكياً بتأسيسه ، وتم افتتاحه في المدينة المنورة عام ١٤٠٥هـ ، ليكون عمله الأساس طباعة المصحف الشريف ، وتوزيعه على العالم الإسلامي ، وتم اختيار المدينة المنورة مكاناً لإقامة المجمع فيها باعتبارها مهبط الوحي ، وعاصمة الإسلام ومهاجر النبي ﷺ ، وتأسياً بفعل عثمان رضي الله عنه الذي جمع القرآن ونسخه ووزعه إلى العالم الإسلامي من عاصمة الإسلام الأولى .

وأشرف على طباعة المصحف نخبةٌ متميزة ومختارة من مشاهير قراء العالم الإسلامي ؛ ليكون المصحف في أعلى درجات الضبط والإتقان ، وليكون حكماً في أي اختلاف بين رسم المصاحف في العالم الإسلامي ، وسُمي « مصحف المدينة النبوية » تيمناً بمدينة رسول الله ﷺ ، وطبعت نسخ المصحف بروايات متعددة حسب القراءات القرآنية التي تقرأ اليوم في العالم الإسلامي ، وهي[١] :

---

(١) موقع الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في المدينة المنورة : *http://www.quranmadinah.com*

(١) موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف على شبكة (النت) */www.qurancomplex.org*

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١ - مصحف المدينة النبوية وفق رواية حفص عن عاصم الكوفي .

٢ - مصحف المدينة النبوية وفق رواية ورش عن نافع المدني .

٣ - مصحف المدينة النبوية وفق رواية قالون عن نافع المدني .

٤ - مصحف المدينة النبوية وفق رواية الدوري عن أبي عمرو البصري .

٥ - مصحف المدينة النبوية وفق رواية شعبة عن عاصم الكوفي .

٦ - مصحف المدينة النبوية وفق رواية السوسي عن أبي عمرو البصري .

كما قام المجمع بتسجيل مصحف المدينة النبوية المرتل لمشاهير القراء في المدينة المنورة ، وبعضهم من أئمة المسجد النبوي الشريف ، وذلك يشير إلى اهتمام المجمع وعنايته بهذا الشأن ، كما أحيا المدرسة المدنية الأولى في القراءات ؛ لأنها المدرسة التي أسسها الرسول ﷺ ، وسجلت هذه المصاحف المرتلة وفق القراءات المنتشرة في العالم الإسلامي في مشرق الأرض ومغربها ، تحت إشراف ومراقبة لجنة من علماء ومشاهير قراء العالم الإسلامي ، لتكون مرجعاً صوتياً في مخارج وصفات الحروف ، وهي :

١- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية حفص عن عاصم الكوفي بصوت الشيخ / علي بن عبد الرحمن الحذيفي .

٢- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية حفص عن عاصم بصوت الشيخ / إبراهيم الأخضر .

٣- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية حفص عن عاصم بصوت الشيخ / محمد أيوب يوسف .

٤- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية حفص عن عاصم بصوت الشيخ / عبد الله علي بصفر .

٥- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية حفص عن عاصم بصوت الشيخ / عماد بن زهير حافظ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٦- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية قالون عن نافع بصوت الشيخ / علي الحذيفي .

٧- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية ورش عن نافع المدني بصوت الشيخ / إبراهيم الدوسري .

٨- مصحف المدينة النبوية المرتل وفق رواية حفص عن عاصم بصوت الشيخ / خالد سليمان المهنا .

ويُعدُّ مجمع الملك فهد فخراً للأمة قاطبة يعتز به كل مسلم ؛ حيث يعد أكبر مطبعة للمصحف الشريف وما يتصل به من علوم خدمية في العالم الإسلامي ، ومن يوم افتتاحه حتى الآن وهو ينتج سنويًّا ما يقرب من عشرة ملايين نسخة من المصحف الشريف[١] ، يزود بها المسلمين في مختلف القارات ، معتمداً في ذلك على أحدث ما وصلت إليه تقنيات الطباعة في العالم ، إلى جانب ما يقوم به من التسجيل الصوتي للقرآن الكريم ، بمختلف الروايات المشهورة اليوم .

خامساً : الجامعات :

بما أن التعليم الجامعي أصبح ضرورة وحاجة لطلاب علم القراءات فإن المدرسة المدنية في القراءات القرآنية قد توسعت لتدخل الجانب الجامعي الأكاديمي البحثي ، فقد أنشئت كلية القرآن الكريم و الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية في ١٣٩٤/٤/٢هـ ، وهي الكلية الأولى من نوعها في جامعات العالم حيث تقوم على خدمة كتاب الله ﷻ ، والعناية بحفظه ودراسة علومه دراسة مستفيضة وتخريج العلماء والقراء المتمكنين والمرتلين المجودين لكتاب الله ، كما تهدف الكلية إلى العناية بكتاب الله ﷻ حفظاً وتجويداً بقراءاته العشر ، وإعداد العلماء المتخصصين في القرآن الكريم وعلومه ،

(١) تقرير مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وتأهيل طلابها لاستيعاب القراءات المتواترة دراسة وعرضاً وتوجيهاً ، ومعرفة مرسوم المصاحف ، والإلمام بالعلوم التي تؤهلهم لأن يكونوا باحثين متميزين في مجال الدراسات القرآنية ، والمشاركة في سدّ حاجة الأمة - محلياً وعالمياً - بالكوادر المؤهلة لحفظ القرآن وفهم معانيه .

وتستقبل الكلية طلابها من سائر أنحاء العالم ، ليعودوا إلى بلادهم بعد تخرجهم بخير ما يتزود به المسلم من معارف وعلوم القراءات القرآنية .

ولما افتتحت جامعة طيبة[١] في المدينة المنورة تم إنشاء قسم الدراسات القرآنية في كلية الآداب ؛ حيث يقوم القسم في شعبة القراءات بتدريس القراءات العشر القرآنية ، والعناية بكتاب الله حفظاً وتجويد ورسماً وفهماً وتدبراً ، وهو رافد آخر للمدرسة المدنية في القراءات القرآنية ، كما يقوم القسم بمتابعة الدراسة العليا في الجانب البحثي في القراءات العشر ؛ حيث يستقبل الطلاب الخريجين والمتخصصين في القراءات العشر القرآنية سواء من جامعة طيبة أو جامعات المملكة ليفسح لهم الإكمال في متابعة الدراسات العليا .

(١) سميت بهذا الاسم تيمنًا بأحد الأسماء التي تطلق على المدينة المنورة وهو طيبة تأسست جامعة طيبة في عام ١٤٢٤ هـ الموافق لـ ٢٠٠٣ م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثاني

خصائص المدرسة المدنية

المطلب الأول

التمسك بالرواية والدراية

اتسمت المدرسة المدنية في القراءات القرآنية بخصائص عدة جعلتها في الصدارة منذ تأسيسها في المدينة على يدي المعلم الأول الرسول محمد ﷺ .

ومن شروط نقل القراءات القرآنية التحقيق في الرواية والدراية ، وعرف عن المدرسة المدنية التمسك بهذا القيد ، فلم تخرج عن جانب الرواية والدراية في نقل القراءات القرآنية جيلاً بعد جيل .

ويُقصد بالرواية مشافهة القارئ لقارئ آخر يتصل سنده إلى النبي ﷺ ؛ بحيث يسمع منه القراءة ويعرض عليه ويقرُّه على قراءاته ، وهي ما تسمى بالعرض والسماع ، وأما الدراية فهي معرفة قوانين وأصول القراءة من أحكام تجويد وإمالات ونقل وتسهيل وترقيق وتفخيم ...أو بمعنى تقييد المقروء مشافهة بالكتابة ، وكلا الطريقين : الرواية والدراية مرجعه النقل ، والفرق بينهما أن الرواية نقل عملي فيه المشافهة واللقاء ، والدراية نقل عملي بالنص والتأصيل والتقعيد .

وحتى يكون النطق صحيحاً مضبوطاً ؛ لا بد أن تحكمه قواعد يرجع إليها ، فتكون الرواية مضبوطة بقواعد الدراية ، فإذا اختلف اثنان في نطق كلمة فمرده إلى الاحتكام إلى القواعد وهي الدراية .

قال أبو عمرو الداني : « وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد ، والمعرفة بالتحقيق ، فمنهم من يعلم ذلك قياسًا وتمييزًا ؛ وهو الحاذق النبيه ، ومنهم من يعلمه سماعًا وتقليدًا ؛ وهو الغبي الفهيه ، والعلم فطنة ودراية آكد منه سماعًا ورواية ، فللدراية ضبطها ونظمها ، وللرواية نقلها وتعلمها ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »[(١)] .

---

(١) التحديد لحقيقة الإتقان والتجويد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تحقيق الدكتور غانم قدوري حمد ، ص٦٧ ، مطبعة الخلود ، بغداد ، ١٤٠٧هـ-١٩٨٨م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولما كانت الذاكرة يصيبها ضعف أو نسيان ، احتاج الأمر إلى التقييد بالكتابة ، فقيد العلماء القراءة في كتب حتى تكون مرجعاً يرجع إليها في وقت الحاجة ، ولو رجعنا إلى جمع القرآن الكريم في العهود الزاهية لوجدنا أن الطريقين تحققا في جمعه ، وهما التلقي والمشافهة والكتابة .

قال مكي : « وقد وصف من تقدمنا من علماء المقرئين القراء فقال : القراء يتفاضلون في العلم بالتجويد ؛ فمنهم من يَعْلَمُه رواية وقياسًا وتمييزًا ، فذلك الحاذق الفطن ، ومنهم من يعرفه سماعًا وتقليدًا ، فذلك الوهِن الضعيف ، لا يلبث أن يشك ويدخله التحريف والتصحيف ؛ إذ لم يبن على أصل ، ولا نقل عن فهم . قال : فنقل القرآن فطنة ودراية أحسن منه سماعًا ورواية . قال : فالرواية لها نقلها ، والدراية لها ضبطها وعلمها . قال : فإذا اجتمع للمقرئ النقل والفطنة والدراية وجبت له الإمامة ، وصحت عليه القراءة ، إن كان له مع ذلك ديانة »[(١)] .

وقد التزمت المدرسة المدنية في القراءات جانب الرواية والدراية ، فروي عن أصحابها أنهم قالوا : « القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤوا كما عُلِّمْتُموه »[(٢)] .

وفي تمسكهم بالنقل قال نافع : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا ، وحرف كذا كذا[(٣)] .

وبالرجوع إلى قراءة نافع كنموذج عن المدرسة المدنية في التزامها في جانب الرواية والنقل ، نجد أنه يقرأ لفظ « يحزن » في القرآن كله بضم الياء وكسر الزاي ، إلا موضعاً واحداً جاء في سورة الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ

---

(١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق : د. أحمد حسن فرحات ٨٩-٩٠ ، دار عمّار ، الأردن الطبعة الثالثة ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م .

(٢) النشر في القراءات العشر ١٧/١ .

(٣) المرجع السابق .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

﴿ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] ، فإنه قرأه بفتح الياء وضم الزاي ، مع أن المعنى واحد في القراءتين ، ولكن ما الذي جعل نافعاً يقرأ في موضع الأنبياء مخالفاً لقراءته في بقية المواضع ؟ والجواب : النقل والرواية التي وصلته .

المطلب الثاني

التمسك بالرسم العثماني

من خصائص المدرسة المدنية في القراءات التزامها بالرسم العثماني في قبول القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة ؛ لأن موافقة الرسم أحد الأركان الثلاثة في قبول القراءة المتواترة .

ويقصد بالرسم العثماني الوضع الذي ارتضاه الصحابة في عهد عثمان في كتابة كلمات القرآن وحروفه(١) .

وصح عن أحد شيوخ المدرسة المدنية – زيد بن ثابت – أنه قال : « إن القراءة سنة متبعة » ، قال البيهقي معلقاً على ذلك : أراد أن اتباع من قبلنا من الحروف سنة متبعة لا يجوز مخالفة المصحف الذي هو إمام ، ولا مخالفة القراءات التي هي مشهورة(٢) .

وروعي في الرسم اشتماله على القراءات الثابتة عن الرسول ﷺ ، فالتزام موافقة الرسم شرط وتحرم مخالفته ، بل إن القراءة المخالفة للرسم غير صحيحة ولو تحقق فيها الشرطان الآخران ؛ قال أبو عبيد القاسم : واتباع حرف المصاحف عندنا كالسنن القائمة(٣) .

---

(١) دراسات في علوم القرآن ، د. فهد بن عبد الرحمن الرومي ، ص ٣١٥ ، الرياض ، ١٤٣١هـ .

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ، ص ٩٠ . طبع في دار صادر ، بيروت ١٣٩٥ .

(٣) البرهان ٤٦١/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومن المعروف أن رسم القرآن كان موجوداً منذ كتابته في العهد النبوي على يدي كتبة الوحي ، وسمي الرسم العثماني نسبةً إلى سيدنا عثمان ؛ لأنه أمر بنسخ مصحفٍ إمامٍ للناس بعدما اختلف الصحابة في بعض حروف القرآن ، فقال : « يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس إماماً »(١) .

فنسخ الصحابة من صحف أبي بكر مصحفاً إماماً ، ثم نسخوا منه مصاحف لسائر الأمصار ، فنسب إليه من هذه الجهة ، لا أنه اخترعه .

ولما انتشرت المصاحف العثمانية جاء العلماء في عصر التدوين والتأليف ، فنظروا فيها ودرسوها دراسة مستفيضة ، فاستخرجوا منها قواعد الرسم ، فوجدوا أن الرسم قد شمله قواعد هي : الحذف ، والإثبات ، والنقص والزيادة والبدل ....فقصدوا بذلك الرسم اشتمالها على الأحرف السبعة ، التي نزل بها القرآن ، وجُعلت خالية من النقط والشكل تحقيقاً لهذا الغرض .

فالكلمات التي اشتملت على أكثر من قراءة مع خلُّوها من النقط والشكل يجعلها محتملةً لما اشتملت عليه من القراءات ، كتبوها برسم واحد في جميع المصاحف ، نحو قوله : ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات :٦] ورد فيها قراءتان ﴿ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ و ﴿ فتثبتوا ﴾ .

أما الكلمات التي وردت على قراءتين وتجريدها من النقط لا يجعلها محتملةً لما وردت فيها من قراءات ، فلم يكتبوها برسم واحد في جميع المصاحف ، وإنما كتبوها في بعض المصاحف برسم يدل على قراءة ، وفي بعضها برسم آخر يدل على القراءة الأخرى ، نحو قوله : ﴿ وَوَصَّىٰ ﴾ ﴿ وأوصى ﴾ [البقرة : ١٣٢] ووزعوا مثل هذه الحروف على سائر المصاحف .

وصار الرسم عند علماء القراءات القرآنية ركناً من أركان قبول القراءة الصحيحة ، وكانت المدرسة المدنية قد أولت عناية في الاهتمام بالرسم العثماني ، فلم تخرج أي قراءة من القراءات القرآنية المتواترة عن الرسم العثماني .

(١) البرهان ٣٧٦/١ ، تاريخ وغريب رسمه ص ٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المطلب الثالث

اعتماد المدرسة المدنية على المنهجية العلمية

المنهج العلمي : هو من الأسس والقواعد الذي تسير عليه الخطة التعليمية ؛ إذ لا يمكن لمدرسة علميةٍ أن تنتشر إن لم يكن لها منهجية علميةٌ تسير عليها ، وكلما روعي جانب التنفيذ في المنهجية العلمية بدقة واهتمام زادت النتائج المرجوة ، ويقصد بالمنهجية اعتماد المدرسة على منهج علمي فيه تأصيل في تعلم القرآن وقراءاته ، فلا يمكن الاتكال في هذا الجانب على الارتجال والحماسة بقدر ما يكون الاهتمام بالقواعد والأسس العلمية لمسيرة التعليم ، وقد برزت المنهجية العلمية في المدرسة المدنية في أمرين :

١- العرض والسماع :

وهو الذي اتبعه جبريل عليه السلام مع الرسول ﷺ حين تنزل القرآن عليه ، فكان جبريل يقرأ ويستمع الرسول ﷺ ، ثم يقرأ الرسول ﷺ ويستمع جبريل عليه السلام ، واتبعها الرسول ﷺ في المدرسة المدنية في مسجده عندما علَّم أصحابه ، واتبعها مع أفراد الصحابة وخاصة أصحاب التخصص في القراءات .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال لي النبي ﷺ : « اقرأ عليَّ ، قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم ، فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان »[(١)] .

وطلب من أُبي بن كعب وهو أحد المتخصصين في علم القراءات القرآنية في المدرسة المدنية أن يقرأ عليه القرآن ، قال أنس رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ لأُبيّ بن كعب : إنّ الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البينة : ١] قال : وسمّاني لك ؟ قال : نعم . قال : فبكى !![(٢)] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب قول المقرئ للقارئ : حسبك (٤٧٦٣) .

(٢) المرجع السابق ، مناقب الأنصار ، مناقب أبي بن كعب ، ج ٧ ، ص ١٢٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهذه المنهجية العلمية متبعة الآن في الجامعات التي تدرس علم القراءات القرآنية ، وتسمى بالعرض والسماع .

٢- منهجية جمع القرآن في العهد النبوي :

وفي عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، فكان الجمع قائماً على منهجية علمية وتخطيط وآلية في التنفيذ ، فعندما ينزل القرآن على الرسول ﷺ جمع كتبة الوحي ، وأملى عليهم ما قرأه ، فكانوا يكتبون ، ثم يطلب منهم أن يقرؤوا عليه ما كتبوه ، فلم يقتصر على الحفظ في الصدور ، وإن كان هو الأصل ، ولكن استعان مع الحفظ بالكتابة في السطور خوفاً من ضعف الذاكرة .

وسلك زيد بن ثابت ﷺ منهجاً علمياً في جمع القرآن عندما كلف بجمعه في عهد أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وتقدمت شروط زيد في أخذ سور القرآن من الصحابة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الثالث

مشاهير أعلام القراءات في المدرسة المدنية

المطلب الأول

من أعلام مدرسة القراءات في عصر الصحابة

تُعدُّ المدرسة المدنية في القراءات الأولى في مسيرة القراءة والإقراء في تاريخ المصحف الشريف ، فقد أسسها الرسول ﷺ في المدينة المنورة ، وظهر منها كواكب ودرراي الإقراء في العالم الإسلامي ، وهم من حملوا قراءة القرآن وإقراءه جيلاً بعد جيل ، وقد ملئت الكتب والمصادر بتراجمهم ، حتى يصعب حصرهم ، ولكن أكتفي بترجمة بعض أعيانهم ومشاهيرهم ، وهم :

١- شيخ القراء والإقراء أبي بن كعب رضي الله عنه :

هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، يكنى أبا المنذر ، شهد العقبة مع السبعين ، وشهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان من كتبة الوحي ومن الذين حفظوا القرآن كله على عهد النبي ﷺ[(١)] .

وكان أبي بن كعب رضي الله عنه من المدرسين النجباء الضابطين لكتاب الله في المدرسة المدنية الأولى في القراءات التي أسسها الرسول ﷺ ، ومن الأربعة الذين أمر رسول الله ﷺ أن يؤخذ منهم القرآن ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، فبدأ به ، وسالم مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب »[(٢)] .

وكان لأبي بن كعب رضي الله عنه فضائل ومناقب تدل على علو منزلته في قلب الرسول ﷺ وعند الله عز وجل منها :

---

(١) معرفة القراء الكبار الذهبي ٢٨/١ ، تذكرة الحفاظ ١٦/١ ، غاية النهاية لابن الجزري ٣١/١ ، شذرات الذهب ٣٢/١ .

(٢) تقدم تخريج الحديث ص ٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أ- أن الله سبحانه وتعالى أمر النبي ﷺ ، أن يقرأ على أبي بن كعب ، فعن أنس بن مالك ﷺ قال النبي ﷺ لأُبَيّ : « إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ١] قال وسمّاني قال : نعم فبكى »(١) .

ب- أن الله ذكر اسم أبي بن كعب في الملأ الأعلى ؛ ففي الحديث السابق قال أُبَي : سماني لك ، قال : الله سماك لي . قال : فجعل أُبيٌّ يبكي » .

ج- أنه أقرأ الأمة ، وقد شهد له الرسول ﷺ بذلك ؛ فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ألا وإن لكل أمة أمينًا ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح »(٢) .

د- أن الرسول ﷺ شهد له بسعة علمه ؛ ففي صحيح مسلم بسنده عن أبي بن كعب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا المنذر ، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « يا أبا المنذر ، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم ؟ » قال : قلت : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . قال : فضرب في صدري وقال : « وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ » .

وقد أخذ عن أُبيّ ﷺ قراءة القرآن : ابنُ عباس ، وأبو هريرة ، وعبدُ الله بن السائب ، وعبدُ الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وأبو عبد الرحمن السلمي

---

(١) تقدم تخريج الحديث ص ١٠٦ .

(٢) سنن الترمذي ، لأبي عيسى الترمذي ، ٣٧٩٠ و٣٧٩١ ، طبعة مؤسسة الرسالة العالمية . تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون . بيروت ١٤٠٨هـ ، وابن ماجه (١٥٤) ، وروى البخاري : « ألا وإن لكل أمة أمينًا ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » ٣٧٤٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رضي الله عنهم جميعًا ، وحدّث عنه سُوَيْد بن غَفَلَة ، وعبد الرحمن بن أَبْزَى ، وأبو المهلب رحمهم الله ، وآخرون .

هـ- أنه أول من كتب الوحي لرسول الله ﷺ : كان أبي ﷺ أول من كتب لرسول الله ﷺ عند مقدمه المدينة ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب : وكتب فلان . قال : وكان أُبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله زيد بن ثابت فكتب .

ومن الأحاديث التي رواها عن رسول ﷺ فضل الصلاة عليه ، عن أبي بن كعب ﷺ : يا رسول الله ، إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك منها ؟ قال : « ما شئت » . قال : الربع ؟ قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك » . قال : النصف ؟ قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك » . قال : الثلثين ؟ قال : « ما شئت ، وإن زدت فهو خير » . قال : يا رسول الله ، أجعلها كلها لك ؟ قال : « إذن تُكفى همك ، ويغفر لك ذنبك »[(١)] .

وفاته :

وقد اختلف في سنة وفاته ؛ والصحيح أنه مات في خلافة عثمان ﷺ سنة اثنتين وثلاثين . قال في المستدرك : وهذا أثبت الأقاويل ؛ لأن عثمان ﷺ أمره بأن يجمع القرآن[(٢)] .

٢- عبد الله بن مسعود .

هو عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي ، وكناه النبي ﷺ أبا عبدالرحمن ، مات أبوه في الجاهلية ، وأسلمت أمه وصحبت النبي ﷺ لذلك كان ينسب الى

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٥٧) وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وأحمد (٢٠٧٣٦) ، وحسنه المنذري في (الترغيب والترهيب) ، وكذا حسنه الحافظ في الفتح (١٦٨/١١) ، وأشار البيهقي في الشعب (٢١٥/٢) إلى تقويته .

(٢) معرفة القراء الكبار ٣٦/١ الذهبي ، غاية النهاية ٢٩٦/١، النجوم الزاهرة ١٣٠/١ ، شذرات الذهب ٥٤/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أمه أحيانا فيقال : (ابن أم عبد) ، وأم عبد كنية أمه – رضي الله عنهما – ، كان من السابقين الأولين ، ومن مهاجرة الحبشة ، فهو سادس ستة دخلوا في الإسلام ، وقد هاجر هجرة الحبشة وهجرة المدينة ، وشهد بدرًا والمشاهد مع الرسول ﷺ ، وهو الذي أجهز على أبي جهل ، ونَفَلَه رسول الله ﷺ سيفَ أبي جهل حين أتاه برأسه ، ومن مآثره :

أ- جهره بالقرآن : كان عبد الله بن مسعود ﷺ أول من جهر بالقرآن الكريم عند الكعبة بعد رسول الله ﷺ ، وقد روي أنه اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : (والله ما سمعت قريشُ هذا القرآن يُجهرُ لها به قط ، فمَنْ رجلٌ يُسمعهم ؟) ، فقال عبد الله بن مسعود : (أنا) ، فقالوا : (إنّا نخشاهم عليك ، إنّما نريدُ رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه) ، فقال : (دعوني فإنّ الله سيمنعني) ، فغدا عبد الله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها ، حتى قام عبد الله عند المقام فقال رافعاً صوته : بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ١-٤] . فاستقبلها فقرأ بها ، فتأمّلوا فجعلوا يقولون : ما يقول ابن أم عبد ؟ ، ثم قالوا : (إنّه ليتلوا بعض ما جاء به محمد) ، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : (هذا الذي خشينا عليك) ، فقال : (ما كان أعداء الله قط أهون عليّ منهم الآن ، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً؟!) ، قالوا : حسبُكَ قد أسمعتهم ما يكرهون)[1] .

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشهير بابن الأثير ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ، محمد أحمد عاشور ، ٣/٢٥٦-٢٦٠ ، طبعة دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، شذرات الذهب ١/٣٨-٣٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ب- حفظ القرآن : أمر النبي ﷺ عبد الله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال : « اقرأ علي » ، قال : « يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ » ، فقال ﷺ : « إني أحب أن أسمعه من غيري » ، قال ابن مسعود فقرأت عليه من سورة النساء حتى وصلت إلى قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء : ٤١] ، فقال له النبي ﷺ : « حسبك » ، قال ابن مسعود : « فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان »[١] .

كان ابن مسعود من علماء الصحابة ﷺ وحفظة القرآن الكريم البارعين فيه ، انتشر علمه وفضله في الآفاق بكثرة أصحابه والآخذين عنه الذين تتلمذوا على يديه وتربوا ، وقد كان يقول : (أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد) ، وقال رسول الله ﷺ : « استقرئوا القرآن من أربعة ؛ من عبدالله بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل »[٢] كما كان يقول : « من أحب أن يسمع القرآن غضاً كما أُنزل فليسمعه من ابن أم عبد »[٣] .

ج- مكانته عند الصحابة : قال عنه أمير المؤمنين عمر : (لقد مُلئ فِقْهاً) ، وقال أبو موسى الأشعري : (لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحَبْرُ فيكم) ، ويقول عنه حذيفة : (ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا ولا هديًا ودلاًّ بالنبي ﷺ من ابن أم عبد)[٤] .

د- مكانته عند أهل الكوفة : ولاه أمير المؤمنين عمر بيت مال المسلمين بالكوفة ، وقال لأهلها حين أرسله إليهم : (إني والله الذي لا إله إلا هو قد

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب قول المقرئ للقارئ : حسبك (٤٧٦٣) .

(٢) المرجع السابق ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد الله بن مسعود رقم (٣٥٤٩) .

(٣) سنن ابن ماجه ، ابن ماجه القزويني ، باب فضل عبدالله بن مسعود ، رقم (١٣٨) ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .

(٤) معرفة القراء الكبار ٣٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

آثرتكم به على نفسي ، فخذوا منه وتعلموا) ، وقد أحبه أهل الكوفة حباً لم يظفر بمثله أحد قبله ، حتى قالوا له حين أراد الخليفة عثمان بن عفان عزله عن الكوفة : (أقم معنا ولا تخرج ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه) ، ولكنه أجاب : (إن له علي الطاعة ، وإنها ستكون أمور وفتن ، ولا أحب أن أكون أول من يفتح أبوابها) .

وفاته :

قدم عبد الله بن مسعود ﷺإلى المدينة لحاجة فتوفي فيها سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في أواخر خلافة عثمان ﷺ .

ومن أشهر تلامذته : علقمة بن قيس ، ومسروق ، والأسود بن يزيد ، وعامر الشعبي ، والحسن البصري .

٣- زيد بن ثابت جامع القرآن ﷺ

هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن النجار الأنصاري المقرئ الفرضي ، كاتب النبي ﷺ وأمينه على الوحي ، كان شاباً ذكياً ثقفاً[(١)] ، شهد العرضة الأخيرة ، وعرض القرآن كاملاً على الرسول ﷺ ، جمع القرآن على عهد أبي بكر ﷺ ، ثم تولى كتابة مصحف عثمان بن عفان ﷺ ، الذي بعث به عثمان نسخاً إلى الأمصار .

قرأ عليه أبو هريرة ، وابن عباس رضي الله عنهما .

شهد الخندق وبيعة الرضوان ، وكان عمر ﷺ يستخلفه على المدينة إذا حج ، قال عنه الرسول ﷺ : « أفرض أمتي زيد بن ثابت »[(٢)] .

وكان زيد بن ثابت ممن تعلم كتابة الوحي ، و بعض اللغات كالسريانية واليهودية في عهد الرسول ﷺ ، « وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره ،

(١) معرفة القراء الكبار ٣٦/١ .

(٢) رواه الحاكم في مستدركه وصححه وأقره الذهبي ، المستدرك ٤٢٢/٣ .

و كانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فيأمر زيد فيتعلمها ، وكتب بعد النبي ﷺ لأبي بكر ، وعمر ، وكتب لهما ومعه معيقب الدوسي أيضاً » فقد أمره النبي ﷺ وقال : « يا زيد تعلم لي كتابة اليهود ؛ فإني لا آمنهم على ما أقول » ، فقال : لبيك يا رسول الله[١] .

قال أنس بن مالك : افتخر الحيان الأوس والخزرج ، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة ، ضحل بن الراهب ، ومنا من اهتز له العرش سعد بن معاذ ، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ، ومنا من أجيزت شهادته بشهادتين خزيمة بن ثابت ، وقال الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله : زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل »[٢] ، توفي ﷺ سنة (٤٥هـ) في عهد معاوية ﷺ .

المطلب الثاني

من أعلام مدرسة القراءات في عصر التابعين ومن بعدهم

١- القارئ أبو جعفر صاحب القراءة المشهورة .

هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر القارئ ، أحد العشرة ، مدني مشهور ، قرأ القرآن على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي ، وقال غير واحد : قرأ أيضًا على أبي هريرة وابن عباس ﷺ ، عن قراءتهم على أبي بن كعب ، وصلى بابن عمر ، وحدث عن أبي هريرة وابن عباس[٣] .

تصدّى لإقراء القرآن دهراً ، فورد أنه أقرأ الناس من قبل وقعة الحرة ، قرأ عليه نافع بن أبي نعيم ، وسليمان بن مسلم بن جماز ، وعيسى بن وردان الحذاء ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وحدث عنه مالك الإمام ، وعبد العزيز الدراوردي ، وعبد العزيز بن أبي حازم ، وقد وثقه يحيى بن معين ، والنسائي .

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ص ٣٣٢ .

(٢) أسد الغابة ١٣٦/٦ .

(٣) معرفة القراء الكبار ٧٢/١ ، غاية النهاية ٣٨٢/٢ ، شذرات الذهب ١٧٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قال أبو عبيد في كتاب القراءات : كان أبو جعفر يقرئ الناس قبل وقعة الحرة ، وكان يقرئ في مسجد رسول الله ﷺ سنة ثلاث وستين ، وأخبرني أنه كان يمسك المصحف على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة ، وكان من أقرأ الناس ، قال : وكنت أرى كل ما يقرأ ، وأخذت عنه قراءته ، وأخبرني أبو جعفر أنه أتي به إلى أم سلمة وهو صغير فمسحت على رأسه ، ودعت له بالبركة .

وعن زيد بن أسلم قال كان أبو جعفر يصلي خلف القراء في رمضان يلقنهم ، يُؤمَرُ بذلك ،وكان بعده شيبة جعلوه كذلك ، وشهدت أبا جعفر حين احتضر جاء أبو حازم ومشيخة ، فأكبوا عليه يصرخون به فلم يجبهم ، قال شيبة – وكان ختنه على ابنة أبي جعفر – :ألا أريكم منه عجبا ؟قالوا :بلى ، فكشف عن صدره ، فإذا دوّارة بيضاء مثل اللبن ، فقال أبو حازم وأصحابه : هذا والله نور القرآن ، قال سليمان : فقالت لي أم ولده بعدما مات : صار ذلك البياض غرةً بين عينيه .

وروى محمد بن إسحاق المسيبي ، قال : حدثني أبي ، عن نافع ، قال : لما غُسّل أبو جعفر القارئ ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف ، فما شك من حَضَرَهُ أنه نور القرآن رحمه الله .

وقد أخذ عنه القراءة خلق كثير ، منهم نافع بن أبي نعيم ، وعيسى بن وردان ، وسليمان بن محمد بن مسلم بن جماز ، وعبد الرحمن زيد بن أسلم ، وأبو عمرو بن العلاء ، وغيرهم .

واختلفوا في تاريخ وفاته ، فقال محمد بن المثنى العنزي : توفي سنة سبع وعشرين ومئة ، وقال آخر : سنة ثمان وعشرين ، وقال خليفة : سنة اثنتين . عن نيف وتسعين سنة[١] .

(١) معرفة القراء الكبار ٧٦/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هـ- الإمام المقرئ نافع المدني :

هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي مولاهم ، وهو مولى جَعْوَنَة بن شَعُوب الليثي حليف حمزة بن عبد المطلب المدني .

كنيته : أبو رُوَيْم - وهي أشهر كناه - ، وقيل : أبو نعيم ، أصله أصبهاني ، ولد سنة بضع وسبعين من الهجرة ، وكان أسوَدَ اللون حالكًا ، صبيحَ الوجه ، حَسَنَ الخُلُق ، صاحبَ دُعابة[١] .

أخذ القراءة عرضًا عن جماعة من التابعين ؛ منهم : أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني ، وشَيْبَة بن نِصَاح بن سَرجَس بن يعقوب المدني ، وأبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني ، وأبو روح يزيد بن رومان المدني ، وأبو عبد الله مسلم بن جندب المدني ، وصالح بن خَوّات ، والأصبغ بن عبد العزيز النحوي ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، والزهري[٢] .

قال نافع : قرأت على سبعين من التابعين ، روى القراءة عنه عرضًا وسماعًا خلقٌ كثير ، منهم : عيسى بن مينا (قالون) ، وعثمان بن سعيد (ورش) ، والإمام مالك بن أنس - وهو من أقرانه - .

وكان عالمًا بوجوه القراءات ، متبعًا لآثار الأئمة الماضين ببلده ، وقد أقرأ الناس دهرًا طويلاً نَيّفًا عن سبعين سنة ، وانتهت إليه رياسة القراءة بالمدينة . وقال ابن مجاهد : وكان الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله ﷺ نافع .

قال على بن الحسن المعدل بسنده إلى الشيباني : قال رجل ممن قرأ على نافع : إن نافعاً كان إذا تكلم يُشمّ مِن فيه رائحةُ المسك ، فقلت له : يا أبا عبد الله - أو يا أبا رويم - ، تتطيب كلما قعدت تقرئ الناس ؟ قال : ما أمس طيباً

(١) معرفة القراء الكبار ١٠٧/١ ، سير أعلام النبلاء /٣٣٦ ، غاية النهاية ٣٣٠/٢ .

(٢) تقدم سند قراءة نافع ص ١٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا أقرب طيباً ، ولكني رأيت - فيما يرى النائم - النبيّ ﷺ وهو يقرأ في فيّ ؛ فمن ذلك الوقت أشمّ مِن فيّ هذه الرائحة .

وقال قالون : كان نافع من أطهر الناس خلقاً ، ومن أحسن الناس قراءة ، وكان زاهداً جواداً ، صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة .

وقال الليث بن سعد : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة وإمامُ الناس في القراءة بالمدينة نافعٌ[(١)] .

وقال مالك لمن سأله عن البسملة : سلوا عن كل علم أهله ، ونافع إمام الناس في القراءة ، وقال : قراءة نافع سنة . أي قراءة أهل المدينة[(٢)] .

قال ابن الجزري بسنده إلى محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت نافعاً الوفاة قال له أبناؤه : أوصنا . قال : اتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ، وقد أمّ الناسَ بمسجد رسول الله ﷺ ستين سنة ؛ توفي سنة ١٦٩هـ[(٣)] .

خصائص قراءته :

كان نافع رحمه الله إماماً عارفاً بوجوه القراءات ، انتهت إليه رئاسة الإقراء في المدينة المنورة ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، وكان يقرئ الناس بالقراءات كلها حتى إذا جاء من يطلب حرفه أقرأه به .

وقد نسبت قراءة المدينة إلى نافع لشهرته وضبطه وإتقانه ، وبقيت قراءة نافع مقدمة عند العلماء والناس . لكونها قراءة أهل المدينة ؛ قال الإمام مالك في رسالته لليث بن سعد في حديثه عن المدينة : « فإنما الناس تبع لأهل المدينة ، إليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وأحل الحلال ، وحرم الحرام ، إذ

(١) معرفة القراء الكبار ١٠٧/١ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق ١١١/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

رسول الله ﷺ بين أظهرهم ، يحضرون الوحي والتنزيل ، ويأمرهم فيطيعونه ، ويبين لهم فيتبعونه ، حتى توفاه الله ، واختار له ما عنده صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ، ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ، ممن ولي الأمر بعده ، فما نزل بهم مما عملوه أنفذوه ، وما لم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه ثم أخذوا بأقوى ما وجدوا في ذلك »[١] .

حتى عند التأليف في كتب القراءات كانت قراءة نافع المدني مقدمة في الترتيب والتنظيم ، فهي أول قراءة يُبدأ بالحديث عنها ، ثم بقية القراءات ، وذلك تأدباً مع رسول ﷺ ومدينته .

واختصت قراءته ببعض الخصائص ، منها :

أ- **صلة ميم الجمع** : قرأ نافع من رواية ورش بصلة ميم الجمع إذا جاء بعدها همزة قطع مثل قوله : ﴿ عنهم أموالهم ﴾ ، وإذا كان بعد الميم حرف متحرك فقالون يقرأها بالتخيير بين الإسكان والصلة[٢] .

ب- **مد البدل** : البدل هو أن تتقدم الهمزة على حرف المد على ألا يكون بعد حرف المد همزة أو سكون ، وحكمه الجواز وفيه قصر حركتان ، وتوسط أربع حركات ، والإشباع ست حركات . مثاله : آمنوا ، إيماناً .

ج- **مد اللين** : هو أن يأتي بعد أحد حروف اللين همزة متوسطة مثل : هيئة ، أو متطرفة مثل شيء . يمد نافع من رواية ورش بالتوسط و الإشباع وصلاً ووقفاً .

د- **الهمز المفرد الساكن** : يبدل نافع من رواية ورش كل همز مفرد ساكن وقع فاءً للكلمة حرف مد من جنس حركة ما قبله ، مثاله : يؤمنون ، يأكلون ، سوى بعض الكلمات خرجت عن القاعدة[١] .

---

(١) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ، ج١ ، ص ٦٤-٦٥ ، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ج١ ، ص ٦٤-٦٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر ٢٧٤/١ .

(١) المرجع السابق ٣٩٠/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هـ- **النقل** : يحرك نافع من رواية ورش كل حرف ساكن صحيح وقع آخر الكلمة وكان الهمز أول الكلمة التي تليها بنقل حركة الهمز إليه مثاله : الأرض ، قد أفلح .

و- **يغلظ نافع من رواية ورش كل لام مفتوحة إذا وقعت بعد حرف من هذه الأحرف الثلاثة : الصاد ، الطاء ، الظاء بثلاثة شروط**[١] :

- أن تكون اللام مفتوحة .
- أن يقع أحد هذه الحروف قبل اللام .
- أن يكون أحد هذه الحروف الثلاثة مفتوحاً أو ساكناً .

مثاله : الصّلاَةَ ، صَلَّى ، تَصْلَى ، الطَّلاق ، المُطَلَّقَاتِ ، مَطْلَعِ الفَجْرِ ، ظَلَمَ ، مَنَ اَظْلَمُ .

ز - **يرقق ورش الراء المفتوحة والمضمومة سواء وقف عليها أو وصلها بما بعدها بشرطين :**

- أن يكون قبلها ياء ساكنة موصولة بكلمة واحدة . مثاله : الخيْرُ ، الخَيْرات .
- أن يكون قبلها كسر لازم ؛ مثاله : السّاحِر ، فِراشاً ، لا إِكْرَاه ، عِشْرُون[١] .

هذه أهم خصائص قراءة نافع في الأصول ، وأما تفصيل ذلك فيرجع إلى كتب التخصص ، وأما في الحروف فإن نافعاً له كثير من الكلمات التي قرأها ولم يشاركه بها أحد ، منها :

أ- همز النبيء ، والنبيئين ، والنبيئون ، والأنبئاء والنبوءة[٢] وما شابهه ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ **ٱلنَّبِيِّـۧنَ** بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[آل عمران: ٢١].

---

(١) النشر في القراءات العشر ١١١/٢ .

(١) المرجع السابق ٩٠/٢ .

(٢) فتح الوصيد في شرح القصيد ، السخاوي ١٥/١ ، تحقيق د . أحمد الزعبي ، طبعة دار البيان ، الكويت ، ٢٠٠٣م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ب- قراءة (خطيئته) في قوله : ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٨١] ، قرأ نافع (خطيئته) بالإفراد .

ج- يمد نافع الألف وصلاً في (أنا) إذا وقع بعدها همزة قطع مضمومة أو مفتوحة[١] ، مثل قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] و ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٣] ، وما أشبهه ومقدار المد في الوصل كلٌّ حسب أصوله ، فقالون له القصر والتوسط ، وورش له الإشباع ، فإن أتى بعد (أنا) همزة قطع مكسورة ، فقالون عن نافع له المد وتركه مثله : قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٨] ، وورش لا يثبت الألف وصلاً .

د - (مِيكَٰٓئِلَ) قرأ نافع وحده بدون ياء بعد الهمزة[١] ، وهناك كثير من الحروف التي قرأها نافع وحده ولم يشاركه أحد ، وهي موجودة في كتب التخصص تركتها اختصاراً في هذا المقام .

بقي أهل المدينة متمسكين بقراءة نافع جيلاً بعد جيل باعتبار أنها توافق لهجتهم وألسنتهم « وإلى نافع صارت قراءة أهل المدينة إليه ، وبها تمسكوا إلى اليوم »[٢] ، وبقيت قراءة نافع قراءة أهل المدينة إلى حدود المائة الثالثة ، حتى تحول بعدها أهلها إلى قراءة أبي عمرو البصري ، ثم انتقلت قراءة نافع كما انتقل مذهب مالك إلى بلاد المغرب وأفريقيا ، فصارت رواية قالون يقرأ بها أهل ليبيا ، ولهم مصحف متداول بروايته من طريق أبي نشيط ، كما يُقرأ بها في المناطق المجاورة مثل : شمال التشاد وشرق تونس ، وقرأ أهل المغرب برواية ورش المصري ، كما يقرأ بها القطر الجزائري ، والموريتاني والسنغالي ، وبعض بلدان أفريقيا السوداء المجاورة .

---

(١) النشر في القراءات العشر ٢/٢٣١ .

(١) فتح الوصيد في شرح القصيد ٢/٢٥ .

(٢) معاني القرآن ، أبو عبيد القاسم بن سلام . ص٧٦ ، ٧٩ ، تحقيق حسين محمد محمد شرف ، راجعه : عبد السلام هارون ، المطابع الأميرية .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المطلب الثالث

من أعلام مدرسة القراءات في العصر الحديث

شيخ قراء المدينة حسن الشاعر :

هو حسن بن إبراهيم الشاعر ، ولد رحمه الله في عام ١٢٩١هـ في أسرة فاضلة وبيت علم وفضل[(١)] .

صفاته وأخلاقه :

كان رحمه الله متواضعاً ، دمث الأخلاق رقيقاً سهلاً ، ملازماً للمسجد ، اشتهر بالورع والزهد في الدنيا ، عرف بالتقوى والصلاح ، تربى على ثقافة دينية ، مجتهداً في طلب العلم ، رحب الصدر ، يجيب السائل برفق وبشاشة ، لبقاً في حديثه ، سديد الرأي ، ثاقب الفكر ، طلق اللسان ، طيب القلب ، سليم النية ، يكره الملق والتكبر .

نشأته وتعليمه :

نشأ الشيخ الشاعر في بيت علم وفضل ، حفظ القرآن الكريم وهو فتى في سن التاسعة من عمره ، فأصبح بارزاً بين أقرانه في هذا الجانب ، فالتحق بالجامع الأزهر ، وتلقى علومه وثقافته الدينية هناك ، ودرس جميع علوم القرآن حيث تعلم تجويد القرآن على أيدي كبار علماء الجامع ، وجد واجتهد وعمل وأصر على تلقي علوم القراءات السبع حتى أصبح بارزاً في ذلك ، وعندما وجد في نفسه القدرة على الاستيعاب درس القراءات العشر ، ثم تعمق في الأربعة عشر ، فعلم به شيوخه وقربوه إليهم لما لمسوا فيه من الفطنة والذكاء وتفرسوا فيه الخير الوفير والنفع الكبير ، فأمروه بالتدريس وأجازوه في ذلك ، فقام هو بنشر القرآن وبرع في ذلك حتى أصبح أحد قرّاء العالم الإسلامي البارزين ، ويتصل

(١) موسوعة الأدباء والكتاب السعوديين ج٢/٩٤ ،أحمد سعيد سلم ، ١٤١٣هـ . ط١ نادي المدينة الأدبي . المدينة المنورة ، طيبة وذكريات الأحبة ج١/٥٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

سنده في القراءة بالرسول ﷺ ، ومن أشهر شيوخه الشيخ المقرئ الكراك ، وكان للشيخ الشاعر جهود كبيرة في نشر القراءات القرآنية في المدرسة المدنية منها :

أ - التدريس بالمسجد النبوي :

كان الشيخ بارزاً عند مشايخه ؛ يسألهم حتى يصل إلى مراده ، فما لبث أن نال من العلم ما نال حتى اختار مكانه للجلوس والتدريس في المسجد النبوي الشريف ، وأضاف اسمه إلى قائمة قرّاء وعلماء المسجد النبوي الشريف ، ثم أصبح عضواً في رابطة علماء المدينة المنورة ، فعقد للعلم وأهله سوقاً فريداً وجعل بضاعته التدريسية رابحة ، وكان له رحمه الله عدة حلقات ، فحلقته الأولى لشرح علم التجويد ، وحلقته الثانية بأصول الجزرية ، وحلقته الثالثة لشرح الشاطبية ، واعتاد أن يقرأ العشر في القرآن الكريم قبل مغرب كل يوم .

ب- جهوده مع قرّاء المدينة :

قبل قيام الحرب العالمية الأولى وخروج أهل المدينة منها ، كان قرّاء المدينة يجتمعون في « دكة الأغوات » من كل يوم يقرؤون القرآن ويفسرونه ويتدارسونه فيما بينهم ، فكان الشيخ الشاعر أحد أعضاء هذه الحلقة ، ومن الذين معه الشيخ ياسين الخياري ، والشيخ أحمد التيجي ، والشيخ عبد الرحيم الخوقندي ، والشيخ محمد خليل .

وعاد الشيخ محمد خليل ونُصِّب شيخاً للقرّاء ، وعين الشيخ الشاعر أحد أعضاء مجلس رئاسة طائفة القرّاء والحفّاظ بالمدينة المنورة ، يقول الشيخ أمين مرشد حفظه الله : « تكونت نخبة من العلماء بما فيهم الشيخ حسن ؛ كَدَوْرِيَّة يومية يجتمعون كل يوم عند واحد منهم يتباحثون في علوم القرآن والحديث وعلوم الدين ، وهذه المجموعة بالإضافة إلى الشيخ حسن هم : ١- الشيخ صالح مرشد ٢- الشيخ عبد الإله الشاعر وجهوده في نشر علوم القرآن والتجويد .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ج - تعيينه شيخ القرّاء بالمدينة :

كان الشيخ الشاعر مؤهلاً بعلمه القرآني لمشيخة القراء ، فعندما توفي الشيخ محمد خليل نُصّب الشيخ حسن الشاعر مكانه شيخاً للقرّاء في المدينة المنورة[(١)] .

د - تلاميذه :

كانت حلقة الشيخ الشاعر تزدحم بالطلاب والحفظة ، فقد درس وحفظ على يديه القرآن عدد كبير من العرب والعجم ، وأما القراءات فقد قرأ عليه عشرات من كبار العلماء وأئمة المساجد العاملين اليوم في مختلف أنحاء البلاد الإسلامية والعربية ، فمن تلاميذه الشيخ عبد الحي أبو خضير ، والشيخ أحمد الخياري ، والشيخ عبد القادر الجزائري ، والشيخ عبد العزيز بن صالح ، والشيخ أمين صالح مرشد ، والشيخ عبد المجيد الأبادي ، والشيخ أبو السعود ديولي ، والشيخ عبد السلام عسيلان ، والشيخ إبراهيم الأخضر القيم ، وابنه معالي الوزير علي الشاعر .

هـ - مؤلفاته :

أما عن نشاطه رحمه الله في تأليف الكتب فقد قام الشيخ الجليل بتأليف كتاب واحد أسماه « تحفة الإخون في بيان أحكام تجويد القرآن » قام فيه بشرح وافٍ مفصل كاف لأحكام التجويد وشرح القراءات وتراجم بعض القرّاء المختصرة ، وهو يعد كتابًا نافعًا وهامًا جداً في القراءة والتجويد وعلومهما ، ويحتوي الكتاب على (٥٥) صفحة من القطع الصغير .

وفاته :

وبعد حياة مليئة ببركة القرآن الكريم انتقل الشيخ حسن الشاعر إلى جوار ربه ، وكانت وفاته في العشرين من شهر ذي القعدة لعام ١٤٠٠ هـ ، وقد عُمّر فوق المائة بتسع سنوات ، وصلي عليه في المسجد النبوي الشريف ، ودفن في بقيع الغرقد .

---

(١) طيبة وذكريات الأحبة ٥٧/١ ، أحمد أمين صالح مرشد ، طبعة : الأولى سنة : ١٤١٣هـ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المبحث الرابع

أثر المدرسة المدنية في القراءات القرآنية

المطلب الأول

أثر المدرسة في الإقراء والتدريس في المدينة المنورة

كان للمدرسة المدنية في القراءات آثار في الإقراء والتدريس في المدينة المنورة ؛ فقد اتسعت المدرسة وازدادت حلقاتها لتشمل البيوت ، وقد تقدم أن الصحابة ﷺ جعلوا من بيوتهم مدارس إقراء يعلمون أطفالهم وضيوفهم تلاوة كتاب الله تعالى مع الفهم والتدبر ، ومع مرور السنين وتعاقبها ، انتشرت مدارس الإقراء في المدينة ؛ ففي عصر التابعين كانت مدرسة أبي جعفر القارئ ، ثم مدرسة الإمام نافع المدني ، وكان لكل واحد منهما تلاميذ وأتباع يحملون قراءة شيخهم لمن خلفهم .

وفي القرن السادس والسابع الهجري توسعت المدارس في المسجد النبوي حتى سميت بالكتاتيب[(١)] ، وكانت هناك حلقات للإقراء ، فقد عرفت حلقة الشيخ موسى بن مسعود الموصلي (ت ٧٥١هـ) يقرئ فيه القرآن[(٢)] ، وقد كانت هذه الحلقات تمثل مظاهر للنشاط العلمي ، ويصف ابن فرحون الحرم النبوي وما يدور فيه من حركة علمية بقوله « كان للحرم الشريف أبهة عظيمة ومنظر بهي ، كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة قد غصت بالمشايخ »[(١)] .

وكان اهتمام الدول الأموية والعباسية والمملوكية والعثمانية بالحرمين عاملاً مهماً في انتشار حلقات القرآن الكريم ، فكان الولاة والخلفاء والسلاطين يسعون على ضخ الأموال والصدقات إلى الحرمين بغية الأجر ، بل كان إرسال الصرة إلى

---

(١) الجابري ، الحياة العلمية في الحجاز ، ص ٣١٧-٣١٨ .

(٢) الفاسي ، العقد الثمين ، ج٧ ، ص ٣٠٧ .

(١) المديرس ، المدينة المنورة في العصر المملوكي ، ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بلاد الحرمين من أهم واجبات الوالي العثماني في مصر ويحاسب إذا قصر في إرسالها ، كما كانت تصل بعض الإعانات إلى مكة بصحبة المحمل الشامي[١] .

وفي العصر الحديث ومع تقدم الحياة العلمية وتوسعها ؛ دخلت المدرسة المدنية في القراءات التعليم النظامي ، فلم تكن في معزل عن الحياة العلمية النظامية ، حيث افتتحت لها مدارس تحفيظ القرآن الكريم في المراحل الثلاثة الابتدائية والمتوسطة والثانوية ، وأدخل فيها علم القراءات ، وحظيت باهتمام ورعاية من المسؤولين وأهل المدينة ، بل ازداد إقبال الناس عليها لتدريس أولادهم ، فأخذت الطابع التنظيمي ، وصار طلابها يتعلمون القراءات القرآنية ، وقد غطت هذه المدارس المدينة المنورة بجميع مناطقها التابعة لها ، ولم يعد علم القراءات محصوراً في المدينة المنورة بل انتشر ليغطي القرى التي تتبع المدينة المنورة .

أما في جانب حلقات إقراء القرآن فلم تعد مدرسة القراءات في مسجد الرسول ﷺ محصورة فيه ، بل اتسعت لتشمل مساجد المدينة كلها ، فأنشأت الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم .

المطلب الثاني

أثر المدرسة في الإقراء والتدريس في العالم الإسلامي

كانت المدرسة المدنية في القراءات الأولى في تأسيسها ونشأتها ، فقد تخرج منها العلماء والقراء الذين على أيديهم انتشرت مدارس القراءات في العالم الإسلامي ، وكانت عناية الصحابة الذين تخرجوا من مسجد رسول الله ﷺ جلية ، حيث خرجوا مع الفاتحين ينشرون الدين الإسلامي فوق ربوع الأرض ، ومن هؤلاء : الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ الذي استقر في العراق ، وفيها نشر كتاب الله تلاوة وتدبراً ، فكانت حلقته من أكبر حلقات العلم ،

(١) نبيلة سعود المطيري ، الحياة العلمية في مكة المكرمة ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، ص ٢٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

في مسجد الكوفة ، وقد تأثرت الكوفة بعبد الله بن مسعود فاختار لهم قراءة تناسب لهجتهم فساروا عليها .

واشتهر مسجدُ الكوفة بحركته العلمية ذات التأثير البعيد في التشريع الإسلامي ؛ فكان ابن مسعود ﷺ قارئاً فيه نديَّ الصوت ، حافظاً لكتاب الله تعالى ، حسن التلاوة ، قد عمل على إحياء مدرسة القراءة بالكوفة ، فتجردت للضبط والإتقان ، وتخصصت في الترتيل الجيد لهجة ومخرجاً ووقفاً .

ومن رجال القراءات بالكوفة يحيى بن وثاب ، وعاصم بن أبي النجود ، وسليمان الأعمش ، وحمزة الزيات ، والكسائي . ومعروف أن ثلاثة منهم ، وهم : حمزة ، وعاصم ، والكسائي ، يعدون من أئمة القراء السبعة الذين رزقوا حظوة بين المسلمين .

وترجع قراءة الأئمة الثلاثة : عاصم ، وحمزة ، والكسائي إلى قراءة عبد الله بن مسعود ، ويكفي أن رواية حفص عن عاصم هي القراءة السائدة والمنتشرة في العالم اليوم .

وفي بلاد الشام كان أبو الدرداء شيخ القراء فيها ، فهو الذي أسس حلقات التحفيظ في دمشق ، وكان بارعاً في إدارتها وتنظيمها ، وبسبب ذلك خرّجت حلقاته جماً غفيرًا من الحفاظ المتقنين ، قال مسلم بن مِشْكَم : « قال لي أبو الدرداء : اعدد من يقرأ عندي القرآن . فعددتهم ألفاً وستمائة ونيفاً ، وكان لكل عشرة منهم مقرئ ، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائماً يستفتونه في حروف القرآن ، فإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء »[(١)] .

وقال سويد بن عبد العزيز : « كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، ويجعل على كل عشرة منهم عريفاً ، ويقف هو قائماً في المحراب يرمقهم ببصره ، وبعضهم

(١) معرفة القراء الكبار ١/٤٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يقرأ على بعض ، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم ، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء ، فسأله عن ذلك » . ونقل الحافظ ابن عساكر أن أبا الدرداء هُوَ الَّذِي سَنَّ هَذِهِ الحِلَقَ لِلقِرَاءةِ[١] . واستمر في إقراء الناس أكثر من عشرين سنة حتى توفي .

وصارت هذه الحلقات المباركة لإقراء القرآن وتحفيظه سنة متبعة ، فلما توفي خلفه في القراءة تلميذه عبد الله بن عامر[٢] الذي ذاع صيته واشتهر وغدا إمام الناس في القراءة ، وصارت قراءته أحد القراءات العشرة المشتهرة .

المطلب الثالث

أثر المدرسة العلمي في التأليف التخصصي

كان للمدرسة المدنية أثر كبيرٌ في التأليف التخصصي في علم القراءات القرآنية ، فبعد انتشار القراءات في الأقطار والبلاد بدأ كل تلميذ يضبط في كتاب خاص ما تلقاه من شيخه على شكل قراءات فردية بحيث يرجع إليها ليتذكرها وقت الحاجة ، فظهرت بعض الكتب والمؤلفات ، مثل « القراءات » للكسائي (ت ١٨٩) ، وكتاب نصير (ت ٢٤٠) ، وكتاب أحمد بن سهل الأشناني عن حفص عن عاصم[١] .

ثم جاء من بعد هؤلاء جماعةٌ تفرغوا للقرآن وعلومه ، فصاروا يطوفون البلاد ويلتقون بالعلماء المقرئين ويعرضون عليهم مسائل القراءات ، ومن هنا بدأ يظهر علم القراءات التخصصي كتابةً وتأليفاً ، فكان ما اهتم به علماء القراءات ضبط القراءات القرآنية التي نقلت ورويت عن الرسول ﷺ « فلمَّا كانَتِ المِائَةُ الثَّالِثَةُ ؛

(١) معرفة القراء الكبار ٤٠/١ .

(٢) المرجع السابق .

(١) التذكرة في القراءات الثمان، ابن غلبون ٢٢/١ ، تحقيق د . أيمن سويد ، طبعة الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن ، ١٤٠٨ ، جدة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

واتَّسعَ الخَرْقُ وقَلَّ الضَّبْطُ ، وكانَ عِلْمُ الكِتابِ والسُّنَّةِ أوْفرَ ما كان في ذَلِكَ العَصْرِ ، تَصدَّى بَعْضُ الأئِمَّة لِضَبْطِ ما رَواهُ مِنَ القِراءاتِ ، فكان أوَّلَ إمامٍ مُعْتَبَرٍ جَمعَ القِراءاتِ في كِتابٍ : أبُو عُبَيْدٍ القاسِمُ بْنُ سَلاَّمٍ ، وجعلَهُم - فيما أحْسَبُ - خَمْسةً وعِشْرينَ قارِئًا مع هَؤُلاءِ السَّبْعة ، وتُوُفِّيَ سَنةَ أرْبَعٍ وعِشْرينَ ومِائَتَيْن .

وكان بَعْدَهُ الإمامُ أبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَريُّ ، جَمَعَ كِتابًا حافِلاً سَمَّاهُ « الجامِع » ، فيهِ نَيِّفٌ وعِشْرونَ قِراءةً ، تُوُفِّيَ سَنةَ عَشْرٍ وثَلاثِمِائةٍ .

وكانَ بُعيْدَهُ أبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أحمدَ بْنِ عُمَرَ الدَّاجُونيُّ ، جَمعَ كِتابًا في القِراءاتِ وأدْخَلَ مَعَهُمْ أبا جَعْفَرٍ أحَدَ العَشَرةِ ، وتُوُفِّيَ سَنةَ أرْبَعٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمِائةٍ .

وكانَ في إثْرِه أبُو بَكْرٍ أحمدُ بْنُ مُوسَى بْنِ العَبَّاسِ بْنِ مُجاهِدٍ ، أوَّلُ مَنِ اقْتَصرَ على قِراءاتِ هَؤُلاءِ السَّبْعةِ فَقَطْ ، وروَى فيه عَنْ هذا الدَّاجُونيِّ وعَنِ ابْنِ جَريرٍ أيْضًا ، وتُوُفِّيَ سَنةَ أرْبَعٍ وعِشْرينَ وثَلاثِمِائةٍ .

وقامَ النَّاسُ في زَمانِهِ وبَعْدَهُ فأَلَّفُوا في القِراءاتِ أنْواعَ التَّواليفِ ، كأبي بَكْرٍ أحمدَ بْنِ نَصْرٍ الشَّذائيِّ ، تُوُفِّيَ سَنةَ سَبْعينَ وثَلاثِمِائةٍ ، وأبي بَكْرٍ أحمدَ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ مِهْرانَ مُؤلِّفِ كِتابِ « الشَّامل » و « الغاية » وغَيْرِ ذَلِكَ في قِراءاتِ العَشَرةِ ، وتُوُفِّيَ سَنةَ إحدى وثَمانينَ وثَلاثِمِائةٍ ، والإمامِ الأُسْتاذِ أبي الفَضْلِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الخُزاعيِّ مُؤلِّفِ "المُنْتَهَى" جَمَعَ فيه ما لَمْ يجمَعْهُ مَنْ قبْلَه ، وتُوُفِّيَ سَنةَ ثَمانٍ وأرْبَعمِائةٍ ، وانْتدبَ النَّاسُ لِتَأْليفِ الكُتُبِ في القِراءاتِ بِحَسَبِ ما وَصلَ إليهِم وصَحَّ لديهِم »[1] .

وهكذا تواكبت الكتب والمؤلفات في تخصص القراءات وبدأت المدرسة القرآنية تتزاحم بها حتى احتلت الصدارة ، وكان للمدرسة المدنية الأولى في الانتشار والتأليف في علم القراءات القدح المعلى ، وكان تأثيرها في علم القراءات بارزاً في :

(١) النشر في القراءات العشر ١/٣٣-٣٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١- ازدهار حركة التأليف في تخصص القراءات :

فقد ظهرت مؤلفات تخصصية عديدة في علم القراءات القرآنية ، وكان لهذه المؤلفات الأثر الكبير في حفظ القراءات القرآنية من النسيان الذي يطرأ على الذاكرة من ضعف في الحفظ ، فكانت الكتابة وسيلةً عززت حفظ القراءات ، وازدهرت حركة التأليف وانتشرت في العالم الإسلامي ، وتسابق العلماء والقراء بالاعتناء في مؤلفاتهم .

فكان علماء المغرب والمشرق كفرسي رهان في التنافس والتسابق في التأليف ، ففي المغرب كان أشهر من لمع وذاع صيته الإمامان :

أ- أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤) ومن مؤلفاته : البيان الجامع لعلوم القرآن ، والتيسير في القراءات السبع ، والمقنع في رسم المصاحف .

ب- أبو داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦) ، ومن مؤلفاته : التبيين لهجاء التنزيل .

وفي المشرق اشتهر :

أ- أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني (ت ٥٦٥) ومن مؤلفاته : غاية الاختصار في القراءات لأئمة الأمصار .

ب- محمد بن الجزري (ت ٨٣٣) وهو من المحققين في هذا الفن ، ومن مؤلفاته : النشر في القراءات العشر .

ومن أبرز وأشهر التآليف في تخصص القراءات في المدنية المنورة كتاب : « إتحاف فضلاء البشر بالقراءات العشر » لمؤلفه أحمد بن محمد المشهور بالبنا الدمياطي ، وهو من علماء مصر إلا أنه رحل إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة حتى توفاه الله .

وهناك العديد من المؤلفات والمنظومات في تخصص القراءات أغفلتُ ذكرها اختصاراً في هذا المقام .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢- موضوعات الكتب .

تعدد موضوعات كتب القراءات التي ألفها العلماء في التخصص له أثر في تنوع الكتب وانتشارها ، فقد يؤلف أحد المتخصصين في قراءة واحدة فيتوسع ، وقد يؤلف في قراءتين أو أكثر ، ويرجع سبب اختلاف عدد القراءات من مصنف لآخر إلى أن كل إمام أودع في كتبه من القراءات والروايات والطرق ما تلقاه وقرأ به على شيوخه(١) .

٣- منهج التأليف :

كان اختلاف منهج المؤلفين في كتب القراءات متعدداً ، ويرجع سبب ذلك إلى البيئة العلمية والفترة الزمنية التي عاشها المؤلف ، فلكل عصر وزمان ما يناسبه من الطرق والوسائل التي تعكس منهجية المؤلف .

وقد يختار المؤلف قراءة واحدة فيتوسع في ذكر طرقه وأسانيده إلى ذلك القارئ الذي اختاره ، وقد يختار سبع قراءات فيذكر الأسانيد في البداية ، ثم الأصول ، ثم الكلمات القرآنية حسب كل سورة ، وقد يذكر أسماء المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كتابه ، ثم يذكر الأصول مثل كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري .

وبعضهم يَنْظُم القراءات نظماً على شكل قصائد لتسهل علم القراءات وتقربه من طلابه ، كما فعل الإمام الشاطبي في قصيدته المشهورة « حرز الأماني ووجه التهاني » .

٤- الاتساع في خدمة التراث وتحقيق المخطوطات في تخصص القراءات .

التراث هو : من الورث والتوريث ، أي ما خلفه الأقدمون لنا ، سواء أكان مالاً وهو الشائع ، أو حضارة أو علماً ، أو أي شيء يدل على تلك الأمم السابقة .

والتراث في مجال تحقيق النصوص هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في أي علم من العلوم أو فن من الفنون ، وأقصد بالتراث هنا المخطوطات في تخصص

(١) التذكرة في القراءات الثمان ، ابن غلبون ٢٢/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القراءات والتي خطت بالأيدي ، وبقيت محفوظة في مكاتب العالم الإسلامي ؛ وخدمة التراث يراد به تحقيق هذه المخطوطات وتوثيقها وإخراجها في كتاب ، وقد غدا تحقيق التراث علماً يتعلم اليوم في الجامعات .

وقد ساعد انتشار الكليات والجامعات التخصصية في علم القراءات على انتشار خدمة التراث وتحقيق المخطوطات ، فصارت رسائل بحثية علمية لدى طلاب العلم ، وقد خُدمت أمهات المؤلفات في تخصص القراءات من قبل الباحثين ، وازدحمت في المكتبة القرآنية بعد أن كانت هذه المخطوطات لا ترى ضوء الشمس ، فمنها :

أ- « الإيضاح شرح الإمام الزبيدي على متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر » لابن الجزري ، تحقيق الشيخ عبدالرازق موسى ، مدرس القراءات في كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية .

ب- « الموضح لمذاهب القراء في الفتح والإمالة وبين اللفظين » لأبي عمرو الداني ، دراسة وتحقيق ، وهو رسالة علمية ، للباحث محمد شفاعت رباني ، الطالب في كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

ج- «الإرشاد في القراءات عن الأئمة السبعة ﷺ » للإمام أبي الطيب عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون المقرئ (٣٠٩-٣٨٩هـ) دراسة وتحقيق مقدمة من الطالب : باسم بن حمدي بن حامد السيد في كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة .

وهناك العشرات من الرسائل العلمية التي حققت في كلية القرآن الكريم في الجامعة الإسلامية .

٣- إنشاء مراكز بحث للدراسات القرآنية :

وقد أسهمت المدرسة المدنية في القراءات القرآنية في إنشاء مراكز بحث قرآنية في جامعات العالم الإسلامي ، وسميت بالكراسي العلمية ، مثل :

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كرسي محمد عوض بن لادن للدراسات القرآنية في جامعة الملك عبدالعزيز في جدة ، كرسي القرآن الكريم وعلومه بكلية التربية في جامعة الملك سعود ، **كرسي الأمير سلمان للدراسات القرآنية** في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض ، **وكرسي الملك عبد الله بن عبد العزيز للقرآن الكريم** في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وجامعة أم القرى في مكة المكرمة ، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، وكرسي القراءات القرآنية في جامعة طيبة ، ويكون تمويل بعض هذه الكراسي من المحسنين(١) .

وتهدف الكراسي العلمية إلى خدمة القرآن الكريم في شتى مجالاته وتخصصاته ، مع الاهتمام بالقراءات العشر المتواترة رواية ودراية وإدراك العلاقة بين القراءات ، وربط تخصص القراءات بالمجتمع ، للتعريف بهذا العلم ، وتأهيل الكوادر العلمية في تخصص القراءات ، إلى جانب الاهتمام بعلم التجويد ، ورسم المصحف وضبطه ، وتوجيه القراءات من حيث اللغة والإعراب والفقه والبلاغة ، وإثراء البحث العلمي ، والعناية والاهتمام بالقراءات القرآنية المنزلة على النبي ﷺ ، التي وصلت بطريق التواتر وتيسير إقرائه وفهمه وتدبره بالاستفادة من جميع الطاقات العلمية المتاحة والتقنية السمعية والمرئية .

(١) تقوم فكرة الكراسي العلمية على الشراكة بين المؤسسة الأكاديمية وشخصية أو جهة ما خارجها ؛ لدعم وتطوير مجال علمي متخصص ، بحيث تقدم هذه الشخصية أو الجهة التمويل اللازم لذلك ، في حين تتولى المؤسسة الأكاديمية تهيئة البيئة البحثية اللازمة لنجاح الكرسي .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خاتمة وتوصيات

وفي نهاية البحث وصلت إلى نتائج وتوصيات مهمة ، وهي :

١- المدرسة المدنية في القراءات القرآنية هي الأولى في نشأتها في تاريخ نزول القرآن بأحرفه السبعة التي أذن الله بقراءتها .

٢- تأسيس المدرسة المدنية على المنهجية العلمية في تعليم القراءات القرآنية ونشرها ونقلها في العالم الإسلامي .

٣- تمسك المدرسة المدنية في تعليم القراءات القرآنية بالرواية والدراية .

٤- تواكب المدرسة المدنية مع تقنيات العصر حيث استفادت من وسائل التقنية في نشر القراءات القرآنية عبر (النت) والمقارئ الإلكترونية ، والأقراص المدمجة ، والمواقع .

٥- اعتماد المدرسة المدنية في نقل وحفظ القراءات القرآنية على الحفظ الصوتي والنقل الكتابي .

٦- العناية بخدمة التراث وتنشيط حركة التأليف في تخصص القراءات القرآنية في العصر الحديث .

٧- دخول المدرسة المدنية في القراءات القرآنية التعليم الجامعي ومراحله العليا" الماجستير والدكتوراه"

٨- إنشاء مراكز بحث علمي في تخصص القراءات القرآنية في الجامعات العلمية والتي عرفت بالكراسي العلمية ، فساعدت في نشر القراءات القرآنية عبر التأليف والنشر والبحث وإنشاء الندوات والمؤتمرات التخصصية فيه .

٩- إنشاء أكبر مطابع المصحف الشريف في العالم مثل : « مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف » ، وطبع المصاحف القرآنية بالقراءات القرآنية المقروءة في العالم الإسلامي .

❊ ❊ ❊

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة